الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف – بالمسيلة
كلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم: التاريخ

رقم: .....

الرحلات الحجازية الجزائرية في العهد العثماني (1518-1830) رحلة ابن عمار أنموذجا

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر أكاديمي في التاريخ تخصص: تاريخ حديث

إعداد الطالبتين:
- شتوح ريمة
- رزيق أحلام

مقدمة أمام لجنة المناقشة		
اسم ولقب الأستاذ	المؤسسة الجامعية	الصفة
د. عبد الله مقلاتي	جامعة محمد بوضياف–المسيلة	مشرفا ومقررا
د. حميدي بوبكر	جامعة محمد بوضياف–المسيلة	رئيسا
د. مصطفى عبيد	جامعة محمد بوضياف–المسيلة	ممتحنا

السنة الجامعية : 2020/2019

شكر وعرفان:

شكري إلى الواحد الصمد الذي خلقني فسواني

وطريق العلم هداني أحمده وأشكره لأنه وفقنا في

إتمام هذا العمل أتقدم بعظيم الشكر إلى الأستاذ

المشرف عبد الله مقلاتي بشكر خاص إلى الأستاذ

صالح لميش

الإهداء

إلى من حملتني وهنا على وهنا وكان دعائها سر نجاحي

أمي الحبيبة وإلى أبي الذي علمني العطاء دون انتظار

إلى الذي كلله الله بالهيبة والوقار إلى الذي أحمل اسمه

بكل افتخار إلى الأرواح الغالية التي فارقتنا يوما فأحزننا

رحيلها إلى من تركوا ثغرة لا علئها سواهم جدي

وجدتي أسئل الله أن ينير قبرهما ويوسع مدخلهم

ويتجاوز عن سيئاتهم إلى من ساندني من قريب أو

بعيد إلى كل من يسعهم قلبي ولم يسعهم قلمي إلى

كل هؤلاء أهدي هذا العمل

رهف

الإهداء

إلى الروح الغالية التي فارقتني يوما إلى من مزقت قلوبنا بفراقها فتركت في حياتنا ثغرة لا علئها سواها خالتي وأمي الثاني والغالية صليحة مفتاح

أسئل الله أن ينير قبرها وأن يوسع مدخلها ويغفر لها ويرحمها ويسكنها الفردوس الأعلى

إلى الوالدين العزيزين اللذين سهرا على تربيتي وتعب لراحتي ووقفا بجانبي في السراء والضراء وكل من تجمعني بهم صلة الرحم والصداقة أهدي ثمرة جهدي

أحـــلام

قائمة المختصرات:

الاختـــصار	الاســـم الكامل
ص	صفحة
ج	الجزء
ط	الطبعة
ع د	العدد
مج	المجلد
[د، س]	دون سنة
[د، ت]	دون تاريخ
[د، م]	دون مكان
تح	تحقيق
تر	ترجمة
تع	تعريب
تق	تقديم

مقـــدمـــة

مقدمة

يعد التراث ركيزة أساسية في بلورة كيان الأمة وتحديد هويتها وتسجيل خصوصيتها ومميزاتها فقد أنجبت الجزائر العثمانية العديد من رجال الفكر والثقافة اللذين كتبوا ودونوا في مجالات وحقول معرفية تراثية متنوعة شملت العلوم الإنسانية بمختلف منابعها الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية فتركوا لنا علوم زاخرة ومن بين تلك العلوم والمعارف الرحلات والتي تعد من أقدم الفنون الأدبية وأجلها نفعا باعتبارها من أهم المصادر التي يعتمد عليها في دراسة التاريخ وهذا ما انطوت عليه الجزائر في تلك الفترة فقد كان لها رصيدا هاما في تلك الرحلات والتي أصبح فيها العالم الجزائري أكثر ميلا وتنقلا مشرقا ومغربا وتدوين تحركاتهم نثرا أو نظما فتنوعت بين رحلات علمية ورحلات دينية كرحلة ابن عمار نحلة اللبيب بأخبار رحلة إلى الحبيب التي أخذناها أنموذجا للدراسة فكتب الرحلات الجزائرية هي في الحقيقة ذاكرة واسعة تخزن بين صفحاتها الكثير من المعلومات التاريخية بصورة مباشرة أو غير مباشرة عن الجزائر أصل ومنبت هؤلاء الرحالة وكذا المناطق التي عبروها في رحلتهم نحو المشرق وبالتحديد الحجاز وهذا ما حفزنا على محاولة قراءة هذه الرحلات.

فيعود سبب اختيارنا لهذا الموضوع هو الرغبة في الدراسة والتطرق لأهم الرحلات الحجازية التي كانت في الفترة العثمانية وتسليط الضوء على مضمونها كما انها تعد من أهم المصادر لدراسة تاريخ الجزائر الحديث ومعرفة أهم الطرق والمسالك المؤدية إلى المشرق وسعيا منا في المساهمة والمحافظة على ما تركه هؤلاء العلماء والتذكير بهم واخراجهم من دائرة النسيان.

كما أن الباحثين لم يلتفوا إلى دراسة شخصية ابن عمار ورحلته كونها بجكم المفقود ماعدا مقدمتها التي سلمت من الضياع.

ومن خلال دراستنا لهذا الموضوع برزت لنا الإشكالية الرئيسية المرفقة بتساؤلات فرعية تمثلت في: كيف كانت الرحلات الجزائرية الحجازية خلال الحكم العثماني

وقد تولدت عن هذه الإشكالية تساؤلات فرعية:

ماهي أهم الرحلات الجزائرية الحجازية؟

كيف كان التنظيم لهذه الرحلات ؟

ماهي أهم المسالك الداخلية والخارجية التي سلكها الرحالة في طريهم إلى الحجاز؟

من هو ابن عمار وما محتوى رحلته الحجازية؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات اعتمدنا على المنهج التاريخي الوصفي لوصف الاستعدادات للرحلة وأهم المناطق التي ذكرت في هذه الرحلات أما الإطار الزماني للبحث فقد حددته طبيعة الموضوع وذلك بالالتزام بالفترة الزمنية وهي فترة الوجود العثماني بالجزائر 1518-1830م وقد استعننا في انجاز هذا العمل على جملة من المصادر والمراجع تنوعت بين المعاجم والقواميس والكتب والأطروحات والمجلات منها:

نزهة الأنظار في علم التاريخ والاخبار للحسين الوتلاني ونفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وكذلك الرحلة الناصرية حيث قدموا لنا كما من المعلومات حول الرحالة والسبل التي انتهجوها أثناء رحلاتهم إلى الحجاز كما اعتمدنا على مجموعة من أعمال المرحوم أبو القاسم سعد الله ككتاب تاريخ الجزائر الثقافي و أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر وكتاب أدب الرحلة بالإضافة إلى بعض المعاجم اللغوية كمعجم لسان العرب لابن منظور وذلك لشرح ما جاء صعبا من المفردات بالإضافة إلى مجموعة من الرسائل الجامعية والمجلات العلمية.

وللإحاطة بهذه الدراسة اتبعنا الخطة التالية مقدمة الفصل التمهيدي حيث تطرقنا فيه إلـــى التعريف بالرحلة وأنواع الرحلات ودوافعها وأهميتها، أما الفصل الأول فخصصناه لدراسة الوضع الثقافي للجزائر العثمانية وأهم الرحلات الجزائرية الحجازية في تلك الفترة وأهـــم الطرق والمسالك التي عبروها أثناء هذه الرحلات أما الفصل الثاني خصص لدراسة رحلة ابن عمار حيث حمل في طياته التعريف بالشخصية العلمية بابن عمار والتعريف برحلتـــه ومحتواها وأهميتها العلمية كما أنهينا البحث بخاتمة حاولنـــا تقـــديمها كحوصـــلة للنتـــائج المتوصل إليها من خلال هذه الدراسة.

وقد واجهتنا في انجاز هذا البحث مجموعة من الصعوبات نذكر منها

- تحديد عدد صفحات المذكرة وهذا ما جعلنا نقتصر على المحطات الرئيسية فقط
- صعوبة في فهم بعض المفردات الغامضة الغير واضحة لأنها كتبت بالخط العربي القديم
- صعوبة في دراسة رحلة ابن عمار كونها رحلة مفقودة ما عدا مقدمتها.

وفي ختام هذه المقدمة نتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من مد لنا يد العون ونرجوا أن نكـــون قد وفقنا في هذا البحث ونسأل الله أن يأتي عملنا هذا بفائدة وأن يكون لبنة لأعمال قادمـــة ويجعل عملنا هذا خالصا لوجهه الكريم.

الفصل التمهيدي

ماهية الرحلة وأهميتها

المبحث الأول: مفهوم الرحلة

المبحث الثاني: أنواع الرحلة

المبحث الثالث: دوافع الرحلة

المبحث الرابع: أهمية الرحلة

تمهيد:

الحركة والتنقل سمة من سمات الإنسان التي لا يمكنه التوقف عن ممارستها في حياته، حيث شكلت الرحلة منذ القدم نوعا من النشاط الإنساني الحيوي، وذلــك لمــا استدعته الحاجة للبحث عن الظروف المعيشية الملائمة والمناسبة وكذلك في معرفة ما في العالم من عادات وتقاليد وأخلاق، فكان للرحالة المغاربة السبق في هــذا المجــال خاصة تلك المتعلقة برحلات الحج، ومهما كان الغرض من تلــك الــرحلات فإنهــا أصبحت بدون شك مصدرا هاما من المصادر التاريخية خاصة الفترة الحديثة.

المبحث الأول: مفهوم الرحلة

أ- لغة

ربط مفهوم الرحلة في المعاجم العربية القديمة بوسيلة تنقلهم في تلك الفترة وعي الصواب بصورة عامة، وفي هذا الصدد ورد في لسان العرب: رحل الرجل أي سار وأرحلته أنا، ورجل رحول وقوم رحل: أي يرتحلون كثيرا، ورجل رحال: عالم بذلك ومجيد له، وإيل مرحلة عليها رحالها: هي التي وضعت عنها رحالهــا، والارتحــال معناه: الانتقال.[1]

كما ورد في معجم مقاييس اللغة أن: رحل: الراء والحاء واللام أصلا واحدا يدل على مضيه في سفر يقال: رحل يرحل رحلة، والرحلة والارتحــال إذ أضــغنه مــن مكانه.[2]

أما صاحب القاموس، ففيه فرق صاحبه بين الرُّحلة بالضــم والرِّحلــة بالكســر فيقول: الرحلة بالكسر هو الارتحال، قوله تعالى: ﴿**رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ**﴾[3] والرُّحلة بالضم الوجه الذي تقصده والسفرة الواحدة، والرحيل كأسير اسم ارتحال القوم ومنزل بين مكة والبصرة ورحلة: تعني الهضبة، وأرحل: كثرت رواحله، ورَاحَلــهُ بمعنــى عاونه على رحلته.[4]

---

[1]- ابن منظور: لسان العرب، مج 4، ج24، بيروت، لبنان، ص ص 06، 16.

[2]- أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكرياء: مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، ج2، دار الفكر، مصر، 1989، ص 497.

[3]- القرآن الكريم: سورة قريش، الآية 02.

[4]- محمد الدين محمد يعقوب الفيروز الأبادي: القاموس المحيط، تج: أنس محمد الشامي، دار الحديث، القاهرة، 2007، ص 626.

هذا ما جاء في المعاجم القديمة أما بالنسبة للمعاجم الحديثة يكفي أن تشير لما جاء في دائرة المعارف على أن الرحلة هي: يرحل رحلا ورحيلا وترحالا بمعنى: ذهابا، فكل هذه المعاني جاءت بمعنى المسير والانتقال والمقصد المراد به هو السفر.[1]

ب- اصطلاحا

تعددت مفاهيم الرحلة في الاصطلاح إلا أنها تصب كلها في قالب واحد، فقد فرقها الإمام الغزالي: "بأنها نوع مخالطة مع زيادة نقب ومشقة"، بمعنى الاحتكاك بالآخر بعد الجهد والنقب الناتج عن التنقل.[2]

أما بطرس البستاني فيعرفها بأنها: انتقال واحد، أو جماعة من مكان إلى مكان آخر كمقاصد مختلفة وأسباب متعددة.[3]

وفيما يخص فؤاد قنديل فيقول: تعد الرحلة حلقة رائعة ومثيرة من المنظومة الإلهية التي تشمل الكون وتوجه أنساقه البشرية والطبيعية لتحقيق المزيد من المحاولات لاكتشاف الذات الإنسانية واحتراق حاجز المسافات الطبيعية لاكتشاف الحياة على الأكوان المختلفة.[4]

وهذا ما جاء في قوله تعالى:﴿**أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾.[5]

من خلال تحديدنا مفهوم الرحلة في اللغة وفي الاصطلاح تبين لنا أن المفهومين لا يبتعدان كثيرا فهما يشتركان في معنى واحد وهو الحركة، وهذه الحركة تحدد للإنسان فوائد جمة، ولقد أشار إلى ذلك المسعودي بقوله: "ليس من لزم جهة وطنه

[1]- محمد فريد وجدي: دائرة المعارف القرن العشرين، دار الفكر، بيروت، د ط، د ت، مج4، ص 201.

[2]- أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، دار الشعب، القاهرة، د ط، د ت، ج6، ص 1080.

[3]- بطرس البستاني: دائرة المعارف، مج 8، مطبعة المعارف، د ط، بيروت، 1884، ص 564.

[4]- فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الاسكندرية، ط2، القاهرة، مصر، 2002، ص 22

[5]- سورة الحجرات: الآية 13.

وقع بما نمى إليه من الأخبار عن إقليم كمن قسم عمره على قطع الأقطار ووزع أيامه بين تقاذف الأسفار واستخراج كل دقيق من معدنه، وإنارة كل نفسي من مكمنه".[1]

ج- الرحلة في القرآن والسنة

حث الإسلام على الرحلة وشجع الناس عليها كما دعا إلى السفر والسياحة في الأرض طلبا للعلم والمعرفة التي تعود عليهم بالمنافع فقد ورد ذكره في القرآن الكريم في قوله تعالى:﴿**لِإِيلافِ قُرَيْشٍ*إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ**﴾[2]فقد ارتبطت الرحلة بعبادة أهل مكة وبرحلتي الشتاء والصيف إلى الشام واليمن بغرض التجارة.

كما جاء لفظ رٌحَلْ في القرآن الكريم بمعنى البعير، وهي مرادفة للرجالة في قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ**﴾.[3]

كذلك قوله تعالى: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾،[4] فقد حث الله سبحانه وتعالى المؤمنين على التنقل وركوب البحر وذلك بحثا عن الرزق أو للبحث عن المعرفة واكتساب الخبرة.

كما شجع الرسول صلى الله عليه وسلم الرحلة في طلب العلم فقال: "من سلك طريق يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا في الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله وسنة رسوله بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة

---

[1]- المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج1، تقديم محمد السويدي، موفم للنشر، د ط، الجزائر، 1989، ص 03.

[2]- سورة قريش: الآية 01، 02.

[3]-سورة يوسف: الآية 70.

[4]– سورة البقرة: الآية 164.

وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه"[1] وهو دليل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يحبذ السفر والترحال في أرض الله الواسعة.

المبحث الثاني: أنواع الرحلة

تنوعت وتعددت الرحلات بتنوع أغراضها وغاياتها، فمنها ما كان ديني وهو القيام بفريضة الحج وزيارة الأماكن المقدسة، ومنها ما كان علمي أدبي أو تجاري وغيرها من الأنواع.

وقد أسهم الجزائريون مساهمة واضحة في كتابة الرحلات ولاسيما في القرن الثامن عشر للميلاد غير أن كتابا منهم كانت قليلة بالقياس مع كتابات الرحالة المغاربة وأن هذه الرحلات تنوعت بين المختصر والمطول كما أن بعضها قد كتب شعرا فصيحا أو ملحونا والبعض الآخر كتب نثرا وصنف آخر من الرحلات لا نعرف إلا اسمها وبعضها لم يصل إلينا إلا القليل، وهذا ما يمكن عرضه فيما يلي:[2]

أ- الرحلة الدينية

وهي التي تقوم على تأدية فريضة الحج عملا بقوله تعالى: ﴿**وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (26) وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (27) لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ**﴾.[3]

---

[1]- محي الدين أبي زكرياء يحي بن شرف النووي: صحيح مسلم بشرح النووي، تح: محمد سيد عبد رب الرسول، ج18، مكتبة أبو بكر الصديق، ط1، القاهرة، 2006، ص 17.

[2]- أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص 382.

[3]- سورة الحج: الآية 26، 28.

ب- الرحلة العلمية

إن أولى القصص التي تحدثت عن الرحلة العلمية جاءت في القرآن الكريم عن رحلة سيدنا موسى عليه السلام ولقاء الرجل الصالح الخضر عليه السلام واصطحابه بغرض العلم، قال تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا**﴾".[1]

عرفت الرحلة في طلب العلم في المغاربة عموما نشاطا كثيفا حيث اتسع نشاطها على مدى القرون حتى بلغت أوجها في العهد التركي وأصبحت الرحلة شرط أساسي من شروط اكتمال المعارف ومعيار أساسي للحكم على مستوى العلماء والفقهاء.[2]

ومن أجل ذلك تنقل العلماء بين الأقطار يعلمون ويتعلمون في المعاهد والزوايا المنتشرة شرقا وغربا وسعوا للتلقي والأخذ عن العملاء، بحضور مجالسهم العلمية ونيل الإجازات، كما هدف الرحالة إلى تحصيل الحديث النبوي الشريف والسنن من الرواية مثل: رحلة الشيخ عبد الرحمان الثعالبي الذي حصل الحديث فنال بذلك إعجاب محدثي عصره بعد عودته من المشرق.[3]

حيث شملت الرحلة العملية علوم الفقه والطب والهندسة والعمارة وغيرها، فذكرت كتب الحديث والسير أن من الفقهاء والعلماء من كان يقطع العمار ويعبر الأنهار طلبا لحديث نبوي سمع به أو لمجرد التحقق من كلمة فيه.[4]

ج- الرحلة الرسمية

حيث ضم هذا النوع من الرحلات الرحلة السفارية والاستطلاعية والجمادية.

---

[1]- سورة الكهف: الآية 60.

[2]- أغناطيوس يوليا نوفتش كراتشوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي الغربي، تر: صلاح الدين عثمان هاشم، القسم الأول، جامعة الدول العربية، 1957، ص 19.

[3]- حسن الشاهدي: أدب الرحلة في المغرب افي العصر المريني، ج1، منشورات عكاظ، الرباط، 1990، ص 92.

[4]- فؤاد قنديل: المرجع السابق، ص 19.

1- الرحلة السفارية

غالبا ما تكون لتأدية مهمة رسمية حيث تمولها السلطة المركزية، كـــم أن لهـــا أغراض معلومة يسكت عنها في الغالب،[1] ومن نماذج هذا النوع من الرحلات رحلـــة *محمد بن عثمان المكناسي ورحلته المساة "الإكسير في افتكاك الأسير" وأخرى تسمى "اخران المجلس والرقيب"،[2] وهذا ما وقع كذلك للمتقروتي سنة 1580م الـــذي كلفـــه أحمد منصور بالذهاب إلى استطنبول وكانت رحلته المسماة بـــ: النفحة المسكية فـــي السفارة التركية.[3]

2- الرحلة الاستطلاعية

تصدر عن رغبة في الطواف نفسه والسفر ذاته وحب التنقل وتغييـــر الأجـــواء واكتساب الخبرة بالمسالك والطبائع وقد تكون للتعرف على المعالم الشهيرة كالآثـــار والمنازل والأبراج أو الكهوف أو الغرائب والعجائب.[4]

ومن نماذج الرحلية لهذا النوع نجد رحلة ابن الدين الاغوالطي الذي دون رحلته أواخر عشرينات القرن التاسع عشر ميلادي وذلك استجابة لطلب وليـــام هودســـون مساعد القنصل الأمريكي وليام شالر، التي أشار إليها أبو القاسم سعد الله في كتابـــه، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر.[5]

---

[1]- حسن محمد فهيم: أدب الرحلات، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1989، ص 91.

* محمد بن عثمان المكناسي.

[2]- نوال عبد الرحمان شوابكة: آداب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية ق 9هـــ، دار المؤمون، ط1، عمان، 2004، ص 40.

[3]- مولاي بلحميسي: المرجع السابق، ص 11.

[4]- فؤاد قنديل: المرجع السابق، ص 20.

[5]- أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج2، دار البصائر، الجزائر، 2007، ص 243.

3- الرحلة الجهادية

وهي الرحلة التي يتم فيها مصاحبة الملوك والمسؤولين الكبار وقادة الجيوش حيث يكلف الرحالة بتدوين الأحداث من صعوبات ونكبات وانتصارات محققة.[1]

د- الرحلة الاقتصادية

ويظهر هذا في المجال التجاري سعيا لطلب الرزق بحكم الموقع الاستراتيجي للوطن العربي الذي ستوسط قارات العالم، كما أن انفصال الماء وتداخله في اليابسة في المنطقة العربية جعلها تحتل موقعا تجاريا هاما،[2] حيث يقصد المنطقة الرحالة من كل فج، فعرفوا تبادلا تجاريا مع الهند والصين التي كانت أماكن خصبة لكثير الرحالة.

إضافة إلى ذلك فقد أصبح للمغربة في الحجاز تأثيرا قويا في الأنشطة التجارية والزراعية والصناعية البسيطة المؤثرة، مما دفع العديد منهم إلى استطان الحجاز والعمل بتلك الأنشطة المتنوعة.[3]

المبحث الثالث: دوافع الرحلة

1- الدوافع الدينية

انطبعت الحياة عامة بالطابع الروحي، وبدأت المقاييس الدينية متحكمة في كل مناحي الحياة، فالحياة الروحية طاغية على المجتمع المغربي آنذاك، ومن المظاهر التي تتجلى الحياة الروحية من خلالها منها: الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، وانتشار التصوف، ونسخ المصحف ووقفه، وأشعار الشوق إلى الحجاز.[4]

---

[1]- الحسين الشاهدي: المرجع السابق، ص 98.

[2]- نوال عبد الرحمان شوابكة: المرجع السابق، ص 04.

[3]- صادوق الحاج: أسباب الرحلات المغاربية إلى الحجاز إبان ق 12هـ- 18 هـ، أبو القاسم سعد الله، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، العدد 10، د ت، جامعة الجزائر 2، ص 454.

[4]- الحسين الشاهدي: المرجع السابق، ص 63.

كان الارتحال للحج إلى الأماكن المقدسة تلبية لنداء الرحمان والتوبة، وتطهيرا للنفس من دنس الذنوب والسير على الصراط المستقيم أملا في المغفرة.[1]

2- الدوافع العلمية

الباعث العلمي له صلة بالباعث الديني فيه مثاب عليه في الإسلام يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من خرج ابتغاء العلم وضعت الملائكة أجنحتها له رضى بما يصنع" ومن هنا اهتم العلماء بالرحلة منذ القدم وقطعوا الصحاري بحثا عن فائدة، أو رجاء لقاء عالم أو رغبة في تصحيح مسألة.[2]

تعود نشأة الرحلة في طلب العلم إلى بداية انتشار الإسلام فهي من الممارسات التي أحد عليها الدين.

ويرى ابن خلدون: "أن الرحلة في طلب العلم ولقاء المشيخة تزيد في اكتمال التعليم، فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسولها".[3]

ولهذا السبب اهتم العلماء بالرحلات وخروج طالب العلم في هذه الرحلة لأجل التفقه في الدين أو من أجل التعمق في علوم الدنيا.

3- الدوافع الاقتصادية

مارس العرب الترحال وقاموا برحلتي الصيف والشتاء ورد ذكرها في القرآن الكريم، وأبحرت سفنهم في مياه المحيطات لقوله تعالى: ﴿**رَّبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا**﴾.[4]

وكانت التجارة أهم الأسباب التي أدت إلى تدوين الرحلات لمعرفة طرق التجارة البرية والبحرية، ولعل أول ما ارتبطت به الرحلات علم تقويم البلدان والمسالك

---

[1]- فؤاد قنديل: المرجع السابق، ص 19.

[2]- الحسين الشاهدي: المرجع السابق، ص 78.

[3]- عبد الرحمان بن محمد ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ج1، تح: درويش جويدي، المكتبة العصرية، ط1، بيروت، ص 539.

[4]- سورة الإسراء، الآية 66.

والممالك لوصف الطرق والمناخ والعديد من الأمور الأخرى، وذلك لمعرفة الطــرق إلى مكة للقيام بفريضة الحج، وتسهيل عملية التجارة في مختلف البلدان.[1]

4- الدوافع السياسية

الأوضاع السياسية تشمل الوفود والسفارات الدبلوماسية التي يبعث بهم إلى بلدان أخرى قصد توطيد العلاقات والتبادل التجاري.[2]

5- الدوافع السياحية

كان هدف بعض الرحلات البحث عن الحرية، والتطلع إلــى مــا وراء الحيــر المكاني، حيث المهم هو السفر لا البلد الذي نرحل إليه وحب الإطلاع، والرغبة فــي اكتشاف المجاهل والأصقاع كرحلة ابن بطوطة التي كانت رحلته ســياحية وســفارية زار خلالها المشرق، وجال البلاد وتوغل في عراق العجم ثم دخــل الهنــد والســند والصين.[3]

المبحث الرابع: أهمية الرحلة

نمط الرحلات يتعرض إلى جميع نواحي الحياة أو يكاد، إذ تتوفر فيه مادة وفيرة ممثابهم المؤرخ والجغرافيا وعلماء الاجتماع والاقتصاد ومــؤرخي الأدب والأديــان والأساطير، والرحلات هي بمجموعها سجل حقيقي لمختلف الحياة ومفاهيم أهلها على مر العصر.[4]

تأتي قيمة الرحلات التاريخية من أنها أساسا قامت على التجربــة، والملاحظــة المباشرة، وهذا واضحا في جميع الرحلات، فالرحالة اعتنوا بالمسالك وقياس مسافات الطرق، وهم بذلك جغرافيون من حيث لم يعلموا، فقد أودعوا في معونات رحلاتهــم

---

[1]- نوال عبد الرحمان الشوابكة، المرجع السابق، ص 45.

[2]- عبد الله التازي: ابن بطون أمير الرحالة، الدار الغربية للطباعة والنشر، الكويت، ط1، 2002، ص 95.

[3]- نوال عبد الرحمان الشوابكة: المرجع السابق، ص 49.

[4]- حسين محمود حسين: أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس للطباعة والنشر، ط2، بيروت، لبنان، 1983، ص 06.

شيئا كثيرا على أخبار رحلاتهم، حيث وصفوا الطرق التي سلكوها وتسجيل المسافات التي قطعوها، والمعالم التي شاهدوها، بالإضافة إلى الصعوبات التي واجهوها والمحطات التي نزلوها ونصحوا بسلوك طريق الأمان، فيتجلى في ذلك خلاصة التجربة التي مروا بها ومن ثم قدموها.[1]

ويشير ابن هطال التلمساني في تقاطع الرحلة مع التاريخ قائلا "فإن التاريخ من أجل العلوم قدر وأكملها محاسن وفخرا، فهو أحد ما يطلق عليه علم العربية، كان أحق مما تتفق فيه الذخائر السنية وتعرف إليه المهج الزكية إذ به عرفت قدماء الأمم، وبه حفظت مكارم أخلاقهم والشيم.[2]

أما ابن زاكور الفاسي يفيد بقيمة الرحلات بخلاصة "وبعد فإن الرحلة منة من الله ونحلة تكسب غليظ الطباع، غاية الرقة والإنطباع وتعقب من كابد لها نصبا علما غزيرا وأدبا.[3]

كما أشاد بفضل تاريخ الرحالة المغاربة وعلى رأسهم أبوراس الناصر الذي يذكر "فإن البحث عن علم التاريخ بين تقدم بشأن الأدباء الأفاضل وأهل كل طبقة، وجها كل صلة من صلحاء السلف، وحذاق الخلق في كل عصر عصابة هم أهل الإصابة فألفوا وأفادوا وصنفوا وأجادوا وبلغوا من المقاصد قاصيتها وملكوا من المحاسن ناصيتها.[4]

---

[1]- عواطف بنت محمد يوسف نواب: كتب الرحالة في المغرب الأقصى مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين الحادي عشر والثانية عشر الهجريين، دار الملك عبد العزيز، 1429هـ/2007م، ص 22.

[2]- ابن هطال التلمساني: رحلة محمد الكبير باي المغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي، 1785م، دار السويد للنشر والتوزيع، 2004، ص35.

[3]- ابن زكور الفاسي: نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائري وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الحراش، الجزائر، 2011م، ص 40.

[4]- أبو راس الناصري: عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تح: أ.محمد غانم، المركز الوطني للبحث في الأنثرولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران، الجزائر، 2005م، ص 55.

الفصل الأول

الرحلات الحجازية الجزائرية في العهد العثماني

المبحث الأول : الوضع الثقافي للجزائر في العهد العثماني

المبحث الثاني : الرحلات الحجازية الجزائرية في العهد العثماني

المبحث الثالث : أهم الرحلات الحجازيـــة الجزائريـــة فـــي العهـــد العثماني

المبحث الأول : الوضع الثقافي للجزائر في العهد العثماني

عرف العهد العثماني في الجزائر بالركود الثقافي شأنه شأن البلاد العربية، فلم يكن هناك حركات تجديد فكرية متأثرة فقط بالبلاد الأوروبية، ورغم أن العربية ظلت لغة التعليم ولغة الشعب، فإن الدولة قد اتخذت التركية لغة رسمية فكان إنتاج اللغة العربية ينحر في الموضوعات الدينية والتعليمية وقليل من الشعر.[1]

1- التعليم

تشهد كتب الرحالة الذين زاروا الجزائر خلال العهد العثماني أن التعليم كان منتشرا وأن كل جزائري تقريبا كان يعرف القراءة والكتابة، وقد كان التعليم حراعن سيطرة الدولة، ومن سيطرة الحكام العثمانيين، فكان سكان كل قرية ينظمون بطرقهم ووسائلهم الخاصة تعليم القرآن والحديث والعلوم العربية والإسلامية [2]، وقد تحدث الورتلاني عن المدارس، فقد كانت المدارس من اهتمام الخاصة نظرا لحرص باياتها على العناية بالقلاع والحصون، ومع ذلك فهي لا تخلو من العلم غير أن تدريسه إنما يكون في بعض الأوقات كالشتاء وأول الربيع، وأما سائر الأوقات فليس فيها العلم الغزير ولا انعدامه رأسا، فليس يفقد دفعة واحدة، ولا يتسم كلية، فولاتها لم يشتغلوا في بناء المدارس ولا بكثرة الأوقاف والأحباس، فالإضافة إلى فكرة الورتيلاني نجد أن أيضا أن كتاب منشور الهداية لعبد الكريم الفكون ورحلة أبي راس الناصري "عجائب الأسفار" وبعض آثار أحمد بن ساسي البوني . وغيرها من الأمثلة التي تدل على عدم التزام العثمانيين بقواعد الدين نحو الأوقاف . كما أن من يطالع الرحالة والكتاب الأوروبيين أمثال توماس شو وبانانتي أو كتاب الفرنسيين المتأخرين (الفريد بيل، شاريل فيرو مارسيل إيمريت الخ) سنجد منهم أحكاما قاسيا على موقف

---

[1]-أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر (بداية الاحتلال)، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 158.

[2]-أبو قاسم سعد الله، المرجع نفسه، ص 158.

العثمانيين من التعليم [1]. فقد شكا أبو راس في أوائل القرن الثالث عشر من سوء أحوال العلم والتعليم في وقته، رغم أنه كان يعيش عصر الباي محمد الكبير قائلا "في زمن عطلت فيه مشاهد العلم ومعاهده، وسدت مصادره وموارده، وخلت دياره ومراسمه، وعفت إطلاله ومعالمه". أما شو الإنجليزي فقد أرجع موقف العثمانيين من التعليم إلى طبيعتهم الحربية وأمزجتهم غير المستقرة واهتمامهم الكبير بالمال والتجارة.[2]

2- المراحل التعليمية

كان التعليم في الجزائر في العهد العثماني يشمل ثلاث مراحل وهي :

أ- التعليم الابتدائي : كل الأطفال الذين بلغوا سن التمدرس من 6 إلى 10 سنوات لهم الحق في الذهاب إلى المدرسة، إلا أن هذا كان يخص الذكور دون الإناث، فلم تكن الفتاة تذهب إلى المدرسة إلا نادرا، أما الهياكل فكان في كل قرية صغيرة خيمة تدعى الشريعة خاصة بتعليم الأطفال، ويشرف عليها مؤدب يختاره سكان القرية لهذا الغرض، أما في المدن والقرى الكبيرة فقد كانت هناك مدارس تدعى المسيد أو مكتب، وكانت غالبا ملحقة بالوقف [3] ومدة التعليم الابتدائي حوالي أربع سنوات يتعلم الطفل خلالها مبادئ القراءة والكتابة، ويحفظ القرآن الكريم وأركان الإسلام وشعائر الدين .وإذا كان الفقراء يكتفون بهذا القدر من التعلم فإن الأغنياء يواصلون تعلمهم وبذلك يدخلون المرحلة الثانوية [4].

ب- التعليم الثانوي : التعليم في المرحلة الثانوية يتوسط الحلقة التعليمية بين الطورين الابتدائي والعالي، حيث كان التلميذ يستطيع أن يواصل تعليمه الثانوي في الجامع، أو

---

[1] _ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص 316.

[2] _ أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ص 316.

[3] _ أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)، المرجع السابق، ص.ص 160_163.

[4] _ أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ص 162.

في مدرسة ملحقة بالأوقاف، وكان التعليم الثانوي مجانا أما عن المعطيات الإحصائية التي سجلت في هذا المستوى، فكان يتلقى العلم في المرحلة الثانوية حوالي 3000 تلميذ في كل إقليم من الأقاليم الثلاثة [1] وينال الطالب في النهاية إجازة تشهد له بأنه قد درس جميع العلوم التي تدخل في نطاق تخصصه، والإجازة ليست شهادة مكتوبة ولكنها تعبير شفوي من المدرس إلى التلميذ، ومتى حصل التلميذ الإجازة يصبح طالب يستطيع قراءة القرآن في الجامع، ويتولى وظيفة مؤدب أو كاتب [2].

ج- التعليم العالي : لم يكن في الجزائر كلها جامعة واحدة بالمعنى المتعارف عليه فلقد خلت الجزائر العثمانية من مؤسسة للتعليم العالي، توحد نظم التعليم، وتحافظ على مستواه، وتعكس نشاط واتجاه العلماء، وتحفظ قدرا معينا من أساليب اللغة، والذوق الأدبي العام، ولم يكن للجزائر جامعة إسلامية كالأزهر والقرويين والزيتونة، غير أن دروس جوامعها الكبيرة ، بل قد تفوق أحيان دروس الجامع الأموي بدمشق والحرمين الشريفين تتنوع الدراسات فيها، وتردد الأساتذة عليها من مختلف أنحاء العالم الإسلامي فدروس [3] سعيد قدورة وعلي الأنصاري [4] وأحمد بن عمار بالعاصمة،

---

[1] _ صليحة بردي، الممارسة التعليمية في الجزائر أثناء العهد العثماني دراسة في الواقع والمعطيات، مجلة الذاكرة، ع11، كلية الآداب واللغات، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة (عين الدفلى)، 2018م ص 133.

[2] _ صليحة بردي، المرجع نفسه، ص 133.

[3] _ سعيد قدورة : ولد بمدينة الجزائر بعد انتقال عائلته من قدورة القريبة من جزيرة جربة التونسية . اشتهر بنسبه الجزائري وهو إمام وخطيب ومدرس الجامع الكبير ومفتي المالكية، ووكيل أوقاف الجامع الكبير . أنظر : أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص 361.

[4] _ علي الأنصاري : علي بن عبد الواحد الأنصاري السجلماسي أو الفيلالي من بين علماء المسلمين الذين استوطنوا الجزائر خلال الأربعينات من القرن 11،(17م) وشاركوا في حياتها العلمية ولا سيما التدريس، أنظر: أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع نفسه، ص 372.

ودروس سعيد المقري [1] في تلمسان، ودروس أبي راس في معسكر، ودروس عمر الوزان [2] وعبد الكريم الفكون في قسنطينة.

أما عن عدد الطلبة فقد أشارت الإحصائيات أنهم كانوا بين 600 إلى 800 طالب في كل إقليم يواصلون تعليمهم العالي، وكانت الدروس العالية تعطى في الزوايا وأهم الجوامع، وما كان يميز الدراسة في هذه الفترة هو الحفظ وقلة التجديد، ومن أهم المواد المدرسة في مرحلة التعليم العالي النحو والفقه، والتي تتفرع منها عدة محاور من بينها التفسير، الحديث، المعاملات، الفلك، الحساب ...الخ .

2- المؤسسات الثقافية

1_ الأوقاف : تعد الأوقاف من المظاهر الحضارية الإسلامية، فهي تعبر عن إدارة الخير في الإنسان المسلم، وعن إحساسه العميق بالتضامن مع المجتمع، وتقوم فكرة الأوقاف على مبدأ شرعي وعلى أسس قضائية ملزمة ترتكز عليها إدارة الأوقاف [3] كانت الأوقاف تدار من قبل موظفين يدعون بالوكلاء، أو النظار تعينهم السلطات العمومية ممثلة في الباشا أو السلطة القضائية ممثلة بالمفتي، والأوقاف نوعان : عامة وخاصة.

أ_ الأوقاف العامة : هي أوقاف بيت المال والطرقات والعيون والأندلسيين والإشراف،

---

[1] _ سعيد المقري : من أسرة علمية معروفة . تولى وظيفة التدريس والإفتاء بتلمسان وخطيب جامعها الكبير، أنظر : أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص 377.

[2] _ عمر الوزان : هو عمر بن محمد الكماد الأنصاري القسنطيني، كرس حياته للتدريس وأسهم ببعض التأليف، وعالم متصوف، أنظر : أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع نفسه، ص 371.

[3] _ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص.ص 227_228.

ب_ الأوقاف الخاصة : كأوقاف الجامع الكبير والمساجد والزوايا والقباب [1]، وهناك أنواع خاصة بالأوقاف للمؤسسات الدينية منها :

أ_ مؤسسة الحرمين الشريفين : التي ضمت الأوقاف الخيرية أو الأهلية بلغ عددها 1357 و1558 ملكية عقارية.

ب_ مؤسسة أوقاف الأشراف : تحتوي على عدد من المراكز الوقفية، وتضم جماعة الأشراف بمدينة نحو 300 أسرة، تشرف على سير تلك المؤسسات الخيرية، كان هدفها إنساني يرمي إلى التخفيف من المشاكل التي يعانيها المجتمع الجزائري. [2]

ج_ مؤسسة سبل الخيرات : وهي متعلقة بالاتفاق على المساجد الحنفية بالجزائر بلغ أوقافها 331 وقفا، بالإضافة إلى أوقاف أهل الأندلس والجند والثكنات والمرافق العامة [3].

2_ المساجد :

تعتبر المساجد من أهم المؤسسات الدينية، وتتمحور وظيفتها في أداء الصلوات وتحفيظ القرآن وتعليم الفروض المختلفة، ويذكر محمد ابن عبد الكريم الفكون "قد كانت مرتعا لحلقات الدروس اليومية، ومحطات لفنون العلم، التي كانت تدرس لذلك العهد، لاسيما في القرى والمدن، حيث لا زوايا تقوم بدورها في بث أمكنها من العلوم [4] والمسجد هو ملتقى العباد، ومجمع الأعيان، ومنشط الحياة العلمية والاجتماعية وهو قلب القرية في الريف، وروح الحي في المدينة، إذ حوله تنتشر المساكن

---

[1] _ مؤيد محمود حمد المشهداني، م.م سلوان رشيد رمضان، أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني 1518م_1830م، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، مج5، ع16، جامعة تكرت، 2013م، ص 431.

[2] _ المرجع السابق، ص 432.

[3] _ ناصر الدين سعيدوني، الوقف في الجزائر أثناء العهد العثماني، طبعة خاصة، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م، ص 58.

[4] _ محمد ابن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تقديم محمد ابن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972ن، ص 58.

والأسواق والكتاتيب وقد تنوعت المساجد في الجزائر في الفترة العثمانية حيث ذكر سعد الله أنها قد انفصلت إلى مساجد مغيرة وكبيرة [1]، ومن أهم المساجد في الجزائر في العهد العثماني : مسجد كتشاوة الحنفي الذي قيل عنه أنه أجمل مساجد الجزائر الجامع الكبير بالعاصمة، جامع الباي بقسنطينة، مسجد الباشا بوهران، جامع سوق الغزل بالجزائر العاصمة [2].

3_ الزوايا : وكان يقصد بها المسجد الصغير، ذلك للتميز بينها وبين المسجد، ويشير أبو قاسم سعد الله أن أبناء الزاوية يختلف عن بناء المسجد، فالزاوية ما تجمع بين هندسة المسجد والمنزل، وهي في الجملة قصيرة الأسوار منخفضة القباب قليلة النوافذ، وأذا كان لها مسجد فهو في الغالب من دون مئذنة، فالزاوية من الناحية الهندسية ليست جميلة، شكلها يوحي بالتقشف والعزلة [3].

في العهد العثماني انتشرت الزوايا خاصة في القرى والمداشر، وساهمت بقسط كبير في نشر التعليم بمختلف أطواره، وكانت مدينة الجزائر تعج بالزوايا والأضرحة مثل : زاوية وضريح عبد الرحمان الثعالبي، زاوية الوالي دادة، زاوية عبد القادر الجيلالي [4].

أما بمدينة قسنطينة بها 16 زاوية منها : زاوية وخلوات سيدي الكتاني وسيدي المناطقي، سيدي عبد المؤمن، سيدي ميمون، كما للعائلات الكبيرة زواياها الخاصة مثل : زاوية أولاد الفكون، زاوية أولاد جلال أما تلمسان بها زاوية سيدي الذيب،

---

[1] _ أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص 245.

[2] _ أبو قاسم سعد الله، المرجع نفسه، ص 246.

[3] _ جمال تالي، محاضرات في مقياس تاريخ التربية والتعليم في الجزائر، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في علم اجتماع التربية، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد الصديق بن يحي، جيجل، 2015م_2016م، ص 30.

[4] _ أبو قاسم سعد الله، ج1، المرجع نفسه، ص 262.

زاوية سيدي بومدين، زاوية محمد السنوسي [1] وتعتبر زواوة وبجاية من أغنى مناطق الجزائر بالزوايا، فقد تصل إلى 50 زاوية، أهمها زاوية تيزي راشد، زاوية ابن علي الشريف بأقبو [2].

وعادة ما كانت تمثل المسجد والدراسة في آن واحد، حيث تكون مركزا للعبادة وتدريس علوم الدين والفقه ومبادئ القراءة والكتابة وعلوم القرآن [3].

4_ المدارس : تأثرت المدرسة بالواقع الثقافي الذي عاشته البلاد آنذاك، فكان تأسيسها يتم بمجهود شخصي، وبمبادرة من الأفراد، حيث كان إنشاء المدارس على أيدي المحسنين، وكانت المدارس المختلفة تمول بالأوقاف التي كان يحبسها أصحاب النفوس الخيرة التي ترجوا الخير، وتسعى إلى وهب ربع عقاراتها لبناء المدارس، وغيرها من المشاريع التي تدعم التعليم بشتى أشكاله [4].

وكان تلامذة العلم يلازمون شيوخهم لشهور أو لسنوات عدة على وفق انقياد تام لتلقي علوم الدين والفقه، وحرص عدد من التلاميذ الجزائريون من ميسوري الحال على التزود بالعلم من مصادر خارجية، فهاجروا إلى مراكش وتونس ومصر والحجاز والتقوا بعلمائها وتحصلوا وتحصلوا العلوم على أيديهم، وكانوا ينالون خطوة كبيرة حين عودتهم إلى بلدهم، إذ يقومون بمهنة التدريس، ونشر ما حصلوا عليه من معارف جديدة، وغالبا ما يجمع إلى وظيفة المدرس وظائف أخرى كالقضاء أو الإفتاء [5].

5_ المكتبات : كانت الجزائر خلال العهد العثماني في مقدمة البلدان الكثيرة الكتب والمكاتب، وكانت الكتب في الجزائر تنتج محليا عن طريق التأليف والنسخ أو تجلب

---

[1] _ أبو قاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص.ص 246_265.

[2] _ أبو قاسم سعد الله، المرجع نفسه، ص 265.

[3] _ صليحة بردي، المرجع السابق، ص 130.

[4] _ صليحة بردي، المرجع نفسه، ص 131.

[5] _ مؤيد محمود المشهداني، م م سلوان رشيد رمضان، المرجع السابق، ص 437.

من الخارج خاصة من الأندلس، ومصر، واسطنبول، والحجاز، حيث وجد عدد كبير من المكتبات قبل مجيء العثمانيين، فكانت تلمسان عاصمة علمية مزدهرة بلغت فيها صناعة الكتاب، تأليفا ونسخا وجمعا درجة عالية، لقد كانت مصادر الكتب المتنوعة من كتب الأندلسيين، وحتى من البلاد الأندلسية الأخرى [1]، حيث كانت في أعماق الصحراء مكتبة غنية خلال القرن 17 من الشيخ محمد ابن إسماعيل [2] بها ألف وخمسمائة كتبا .

كانت الكتب التي تصل إلى الجزائر من مصر والحجاز، وكانت تركيا والمغرب أيضا من البلدان التي اقتنى منها الجزائريون المخطوطات، وتختلف طرق اقتناء الكتب ومنها الاستنساخ والنسخ، ذلك أن الحريصين على جمع الكتب كانوا يتسخون الكتب بأنفسهم أو يستنسخون غيرهم، وشاعت حركة النسخ والاستنساخ في الجزائر حتى أصبح لها اختصاصيون مشهورون، ومن شروطها جودة الخط وحسن اختيار الورق [3] وقد اشتهرت قسنطينة ببعض النساخ والخطاطين ومن هؤلاء أبو عبد الله العطار الذي كان من أسرة شهيرة تولت الوظائف الرسمية في العهد العثماني، وكذلك الشيخ إبراهيم الحركاتي [4] ومحمد الزجاي وأحمد التليلي [5]، وكان النسخ يتم بالخط

---

[1] _ أشرف صالح محمد سيد، المراكز الثقافية في دار السلطان (الجزائر) أواخر العصر التركي، مجلة أمارياك، مج4، ع7، 2013م، ص 71.

[2] _ محمد ابن إسماعيل : كان فقيها، محدثا، مدققا كثير البحث، درس بالأزهر جاور بمكة والمدينة، زار اليمن والسودان والعراق والمغرب الأقصى وتونس وطرابلس واسطنبول، أنظر : أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص 287.

[3] _ أبو قاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 2.

[4] _ غبراهيم الحركاتي : كان مدرسا بالمهنة اشتهر بالنساخة وحسن الخط حتى أصبح له مهارة وطاقة كبيرة، أنظر : أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص 290.

[5] _ أحمد التليلي : ذكر عنه الورتيلاني أنه كان بديع الخط سريع اليد .

الأندلسي الذي قال عنه ابن خلدون أنه تغلب على الخطوط الأخرى في المغرب العربي [1].

كثرت المخطوطات في العهد العثماني، وقد وضعت في مكتباتها التي كانت منقسمة إلى مكتبات عامة وخاصة، وهي تضم مختلف المخطوطات في شتى الفنون، ويلجأ إليها الطلبة والأساتذة من جميع النواحي للمطالعة فيها فالمكتبات العامة كانت وقفا على المساجد والزوايا والمدارس، بينما المكتبات الخاصة تنتشر في البلاد بين العائلات المشهورة بالعلم والأعيان الذين لديهم اهتمام بالكتب ونسخها [2].

كانت هذه المكتبات موزعة على القطر الجزائري، من حيث الثقافة والاعتناء بتدريس العلوم خاصة المدن كالجزائر العاصمة وقسنطينة وتلمسان، وكان مصير المخطوطات غير آمن، حيث مناع الكثير منها نتيجة الإهمال والنهب والتهريب، والحروب التي وقعت بين الجزائريين والعثمانيين أو مع الأجانب، ومن ذلك مكتبة أبوراس وأحمد ابن سحنون [3] عندما تعرضت مدينة الجزائر للقصف من أسطول الدول الأوروبية [4]، وكانت المكتبات الريفية أيضا لها أهمية كمكتبة ميزاب في بني يزقن بحيث حافظ عليها أصحابها كعائلة التميمي وأطفيش [5]، وكانت الزاوية البكرية وقصر ملوكة مركزا هاما لحركة الكتاب في الجزائر الغربية والجنوبية كما هو الحال

---

[1] _ أبو قاسم سعد الله، ج1، المرجع السابق، ص 290.

[2] _ مؤيد محمود محمد المشهداني، م.م سلوان رشيد رمضان، المرجع السابق، ص 238.

[3] _ أحمد ابن سحنون : هو أحمد بن محمد بن سحنون الراشدي، توفي بعد عام 1796 فقيه وأديب ومؤرخ، تولى الكتابة لدى محمد الكبير باي الغرب الجزائري، من كتابه المسمى الثغر الحماني في اتسام الثغر الوهراني، في أفريل 1793م/5 رمضان 1702، ومن مؤلفاته أيضا عقود المحاسن، أنظر : ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي "تراب مؤرخين ورحالة جغرافيين" دار الغرب الإسلامي، بيروت 1999م، ص .ص 493_443.

[4] _ أشرف صالح محمد سيد، المرجع السابق، ص 72.

[5] _ أطفيش : هو محمد بن يوسق ...ابن إسماعيل طفيش، ينتسب إلى الحفصيين العائلة المالكة بالمغرب اشتهرت أسرته بلقب أطفيش، وهو عالم ومؤلف، من مؤلفاته "أجور الشهور على مرور الدهور" أنظر : عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ط1، 1965، ص 454.

في مكتبة زواوة وورقلة وبجاية والخنقة، وهذا يدل على وفرة الكتب حتى في المناطق النائية [1].

المبحث الثاني : الرحلات الحجازية الجزائرية في العهد العثماني

1- وضعية الرحلة

لقد كانت الرحلات إلى بلاد الحرمين الشريفين هي المقصد الأول للرحالة الجزائريين، فقد أدرك هؤلاء قدسية أرض الحجاز، وعلموا خيرات التوجه إليها فهي باب علم، وسبيل إلى التصنيف، يدون غيرها الحجاج الحكماء مروياتهم وملاقاتهم بالعلماء، لقوله تبارك وتعالى "لتشهدوا منافع لهم" [2].

لكن الجزائريين بالقياس إلى كتب الرحلات المغاربة، كانوا قليلي الإنتاج ولعل ذلك راجع إلى أن عددا من العلماء الذين توزعوا في العالم الإسلامي لم يعودوا إلى الجزائر ليكتبوا ملاحظاتهم إلى مواطنيهم، فلو رجع عيسى الثعالبي ويحي الشاوي وأحمد المقري وأحمد بن عمار وأصرابهم لكتبوا رحلاتهم، ولكنهم لم يفعلوا، ومن جهة أخرى بعض هذه الرحلات كان مختصرا وبعضها مطولا، كما أن بعضها قد كتب شعرا فصيحا أو ملحونا وبعضها قد كتب نثرا مسجوعا أو مرسلا، على أن بعض الرحلات لا تعرف إلا أسماءها وبعضها لم يصل منها إلا القليل غير أن بعضها وصل إلينا كاملا [3].

إلا أن هذا لا يعني غياب الرحالة الجزائريين، وإنما يعود إلى كون أغلب الرحالة لم يسجلوا مشاهداتهم بسبب غياب حس التدوين [4]، فضلا عن بقاء الكثير منهم

---

[1] _ أشرف صالح، المرجع السابق، ص 72.

[2] _ وليد زوهري، أدب الرحالة الجزائريين إلى مكة والمدينة، دراسة وصفية تحليلية، مجلة الدراسات اللغوية، العدد الأول، يونيو 2012، ص 151. [2]

[3] _ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، المرجع السابق، ص 382.

[4] _ وليد زوهري، المرجع السابق، ص 156.

في البقاع المقدسة مثل عيسى الثعالبي [1] وأبو عصيدة البجائي [2]، وخلال العصر العثماني اهتم الجزائريون بصورة خاصة بتدوين رحلاتهم إلى بلاد الحجاز وبلاد الحرمين، وفي التراث رحلتان لأبي عصيدة البجائي ولكنها ضائعا، ورد ذكرهما في رسالة الغريب إلى الحبيب وهي إحدى مراسلات البجائي إلى أبي الفضل المشدالي [3].

لقد عرف التراث الجزائري كتابة الرحلات الحجازية، والتي إن تباعدت أشكالها وتنوعت أحجامها ونصوصها تبقى رهينة مجموعة من الثوابت تعطيها صفة الإنتماء إلى صنف الرحلة وهي :

_ أنها تقوم على هدف أساسي، وهو الذهاب إلى الحجاز، ويقصد تأدية مناسك الحج والقيام بزيارة الرسول صلى الله عليه وسلم وبذلك أخذت تسميتها بالرحلة الحجازية .

_ أنها تحمل أوصاف رحلة يمثلها الحديث على مجموعة من المراحل، تصور التنقل والسفر، وتتولد فيها مختلف المصاعب والمشكلات التي تصادف الرحالة عادة، في البر أو في البحر، مهما انتقلت الطرق وتنوعت وسائل السفر [4].

---

[1] _ عيسى الثعالبي : هو أبو مهدي عيسى بن محمد بن أحمد الثعالبي نسبة إلى الثعالبة متيجة بالسهل الجزائري، وكان عالم متصوف وتولى تدريس الحديث، فقد كان متمكنا من الفقه المالكي، وأيضا تولى التأليف، من بين مؤلفاته منتخب الأسانيد في وصل المصنفات والأجزاء وسانيد، أنظر : عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام ج3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م، ص 107.

[2] _ أبو عصيدة البجائي : عالم متصوف ، فقد خصص كتابه "أنس الغريب وروض الأديب" لهذا العلم، وأديب فقد حل كتابه بالكايات والنوادر والأشعار والسير والأخبار والمدائح النبوية، أنظر : أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص 110.

[3] _ أبي الفضل المشدالي : هو محمد بن محمد ابن أبي القاسم ...إبن عبد المحسن المشدالي، من أسرة اشتهرت بالعلم والفقه، حفظ القرآن في سن الخامسة وأتمه بعد سنتين ونصف، درس العلم، والفقه، المنطق، زار بيت الله الحرام 948ه، أنظر : جلال الدين عبد الرحمان السيوطي، نعية الوعاة في طبقات اللغويين والنجاة، ج2، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي وشركاؤه، ط1، 1384م_1965،ص 147، وأظر أيضا عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، شركة دار الأمة للطباعة والنشر، د ط، الجزائر، 2014م، ص 352.

[4] _ وليد زوهري، المرجع نفسه، ص 151.

_ أن الحديث على مناسك وطريقة تأديتها يكاد يكون متشابها بين مختلف نصوص الرحلات الحجازية لأن الإحرام والوقوف بعرفات والطواف والسعي بين الصفا والمروة، هي الأركان التي قام عليها الحاج منذ شرعة الله للناس .

كما عبر الرحالة من خلال كتاباتهم عن شوقهم وحنينهم إلى الحج وزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث يذكر التلمساني "ثم رجعت إلى القاهرة وكررت منها الذهاب إلى البقاع الطاهرة فدخلت لهذا التاريخ الذي هو عام تسعة وثلاثين وألف مكة وحصلت لي بالمجاورة فيها المسرات وأمليت فيها مناهجها السديدة سبع مرارا وأطفأت بالعود إليها ما أسعد وأنها رجود كلما أمسك الحيا يمد بها مامي الغوارب مؤيد وآساد حرب غابها شجر الفنا ولا ليدرالا العجاج الملبد مساعير في الهيجا مساريع للندى بأيديهم يحمي الهجير ويبرد، ولما سلمت على سيد الأنام عليه من الله أفضل الصلاة وأزكى السلام ذبت حياء وخجلا لما أنا عليه من ارتكاب ما يقتضي وجلا غير أني توسلت بجامة في أن أكون ممن وضح له وجه الصفح وجلا"[1] .

وذكر أيضا "وتذكرت عند مشاهدة تلك المسالك الصعبة قول حافظ ابن العقلاني رحمة الله تعالى، وهو ما زادني في هذه الزيارة رغبة إلى البيت المقدس جنت أرجو .... جنان الخلد نزلا من كريم قطعنا في مسافته عقابا .... وما بعد العقاب سوى النعيم"[2].

2- وصف الرحلة الحجازية

_ أنها تقوم على الوصف وتسجيل ما يجري من أحداث الرحلة، وإن تفوتت قدرات الوصف بين أصحابها وتباعدت قوة الملاحظة والتسجيل بين كتابها وغالبا ما ينصرف هذا الوصف إلى إبراز بعض الأحداث الأساسية التي يقوم عمل الرحلة بها،

---

[1] _ التلمساني أبو العباس أحمد المقري، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995، ص 37.

[2] _ التلمساني، المرجع السابق، ص 35.

ويرتكز إليها باعتبارها تشكل مجموعة من الثوابت تركب منها الأحداث وتعطيها صفة التميز على أنها أحداث ووقائع، وتبدأ عملية الوصف على النحو الآتي :

أ_ وصف الاستعداد للرحيل : بما فيه وصف حالة الشوق للذهاب إلى الحج وإلحاحه على قرار الرحيل، والحسم فيه فتبدأ عملية تيسير الأسباب بالبحث على الرفقة وإعداد العدة للسفر بما تلزمه الطريق من أموال، حماية، ثم تأتي لحظة السفر، وبداية الرحلة بتوديع الأهل والأصحاب [1].

ب_ وصف مراحل الرحلة وذكر مميزاتها، ويقوم فيها الباحث، إن كان السفرني البر يذكر المسالك ووعرتها والطريق وأحوالها، وأماكن النزول والمبيت والأزواد وخصوصيتها، إن كان السفر في البحر فإن الحديث يدور حول ذكر المراسي التي يتم النزول بها، والظروف التي تهيأت للوصول إليها أو الإقلاع منها، والبحث عن المراكب التي هي مهيأة للسفر وكيفية الركوب بها والمعاملة التي يلقاها الراكب فيها.[2]

ج_ وصف الحالة التي كان عليها الراحلين أثناء السفر إما في البحر بالحديث عن المركب ونمط الحياة فيه، وظروف السفر في البحر والجماعة المسافرة على متنه يذكر المقري في وصف رحلته البحرية "فكم استقبلنا أمواجه وجوه بواسر وطارت إلينا من شراعه عقبان كواسر، قد أزعجتنا أكف الريح من وكرها، فسمعنا من للجبال صفيرا وللرياح دويا عظيما .... والموج بصفق لسماع أصوات الرياح فيطرب بل ويضطرب، فكأنه يشرب من كأس الجنون" [3].

_ الصعوبات والعراقيل التي تواجه الرحالة أثناء سيرهم منها ما تحمله الظروف الطارئة من غزارة الأمطار، وجريان الأنهار، واعتراض قطاع الطرق وسرقة المتاع، وغير ذلك من العوائق التي يصعب معها سير الرحلة حيث تعاني الركب قلة

---

[1] _ وليد زوهري، المرجع السابق، ص 153.

[2] _ وليد زوهري، المرجع نفسه، ص 154.

[3] _ التلمساني، المصدر السابق، ص 34.

المياه، أو شدة الحرارة، أو انعدام العشب والكلأ، هذا إن كان السفر برا، وإن كان في البحر فإن الأمر لا يسلم أيضا من مخاطر القرصنة وهيجان البحر وعواصف رياحه، كما يمكن أن يكون امتحانا عسيرا للراحلين عبر البحر[1].

حيث يذكر الورتيلاني "وفيه أسواق بكل ما تريده موجود لأنه يأتي من ناحية الشام أناس بذلك أرى من بيت المقدس وفر بها محل فيه أبسط الخيرات وأنواع الملذوذات لاسيما الفواكه من زمانها بلا تراها بي غير ذلك المحل والشكر لله تعالى وهذا البندر رحمه للحجاج فوضعوا فيه أمتعتهم تخفيفا ورحمة بالإبل إلى أن يرجعوا وكذا اشترى خصه الإبل أو بدله فلما أصبح لله بخير الصباح ظعنا منه عند الضحى فلما انفصلنا تأخر بعض من أحبابنا وهو الحاج بلقاسم الحربيلي ثم اليعلاوي يشتري جملا من بعض العرب بتأخرنا معه فاشتراه فلما أقبض الدراهم لصاحبه عرب الجمل فتبعته على بغلتي حتى أيست من لا وقت وخفت اللصوص من الحراميين، ورجع سيدي أحمد المسراتي على برسه ولحقه ثم وقع الصباح بي آخر الركب أن بلانا وأصحابه فقد أخذ اللصوص برجع البعض غلينا بأسلحتهم فلم نرى خيرا والحمد لله حتى لحقنا بالركب وصاروا يتحمدون لنا السلامة لنا لما علمت من كثرة محاربيه ولصوصه" [2].

3- ركب الحج الجزائري

لا تزال الرحلة إلى الحج بالرغم من أنها لا تكاد تستغرق اليوم سوى ساعات، تحافظ على نظام الجماعات الذي أثبت نجاعته في تسهيل القيام بمناسك هذه الشعيرة، وكانت القافلة أو ما عرف بركب الحج في العصور الماضية حيث كانت الرحلة إلى

---

[1] _ وليد زوهري، المرجع السابق، ص154-156.

[2] _ الحيسن الورتيلاني، نزعة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار (الرحلة الورتيلانية)، مطبعة بيير بونتانا الشرقية، الجزائر، 1907، ص 332.

الحجاز تستغرق شهورا هو الوسيلة المثالية لنقل الجماعات من مختلف المناطق وإيصالها إلى الغاية المقدسة بسلام [1].

يبدأ الإعداد لركب الحج بفترة زمنية كافية قبل انطلاقه، فأول خطوة هي الإعلان عن الموسم الحج، إذ يجوب المعلن الرسمي المدن والقرى للإبلاغ عن انطلاق الاجتماعات لوضع الخطة والتفاصيل العامة للركب، فكانت هذه العملية تتم بين الهيئة الرسمية، والصلحاء من أهل العلم [2].

_ النظام العام للقافلة

1_ إمارة الركب : بما أن السفر إلى الحج في ذلك الزمان طريق وشاق، وعدد الحجاج كبير وأصولهم شتى، كان لابد لركبهم من قائد أو سيخ أو أمير، وأمير ركب الحج الجزائري هو قائد رحلة الحجاج الجزائريين منذ بدء التحضير لها إلى غاية عودتهم إلى منطلق رحلتهم، ولا تنتهي مهمته بمجرد وصوله هو إلى موطنه أو مسقط رأسه، والغالب على منصب إمارة ركب الحج في الجزائر توريثه بين أفراد العائلة الواحدة ومن أشهر بيوتات إمارة الركب في الجزائر [3].

أ_ آل الفكون : بيت الفكون أو الفقون من أشهر بيوتات إمارة الركب الجزائري، ويرى سعد الله أن إمارة ركب الحج ظلت في عائلة ابن عبد المؤمن المتنفذة من قبل، ولم تبدأ في عائلة الفكون سوى مع الشيخ عبد الكريم الفكون الحفيد (ابن محمد ابن عبد الكريم) صاحب كتاب منشور الهداية، بأمر تعيين رسمي صادر عن السلطات

---

[1] _ ليلى غويني، التفاعل الثقافي بين دول المغرب في العهد العثماني من خلال الرحلات الحجازية الجزائرية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر 2، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، 2010م_2011م، ص 55.

[2] _ ليلى غويني، المرجع نفسه، ص 56.

[3] _ أحمد بوسعيد، ركب الحج الجزائري في العهد العثماني (1518م_1830م)، أطروحة مقدمة لنيل دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية جامعة أحمد دراية ، أدرار، 2017م_2018م، ص 67.

العثمانية عام 1048هـ_1638م [1]، وانتقلت من شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون بعد وفاته إلى ابنه الشيخ محمد الفكون لأزيد من أربعين سنة، ثم حل محله أخوه بدر الدين ابن عبد الكريم الفكون الذي وسمه الرحالة الورتيلاني بهذه الصفة (أمير الركب الجزائري)، وكان قد نزل مع مجموعة من الحجاج العائدين من الحجاز في داره بقسنطينة في ضيافة ابنه دون أن يسميه، مكتفيا، مكتفيا بالإشارة إليه ب "ولد سي بدر الدين" والظاهر قياسا أن عبد بن بدر الدين بحكم أن آخر من تولى إمارة الحج من أسفرة الفكون هو محمد ابن عبد الكريم بن بدر الدين (1256هـ_1840م).[2]

ب_ آل المسعود : تولت إمارة الركب الجزائري على غرار عائلة الفكون حسب ما ورد في رحلة العياشي الذي أشاد باثنين من أمراه الحج من ذلك البيت "وأمير ذلك الركب سيدي محمد ابن الولي الصالح سيدي محمد بن المسعود من بلاد مدوكال، وله رباع ببسكرة، وربما استوطنها، وكان والد الأمير المذكور من أهل الصلاح، وممن كان يتردد بالركب إلى الحج الشرين"، أما أمير الركب من ذلك البيت في النصف الثاني من القرن 18 فهو محمد المسعود نجل أمير الركب الشيخ سيدي الموهوب نجل الشيخ سيدي محمد الحاج .

ج_ بيت الملياني : أبناء الولي الصالح "أحمد بن يوسف الراشدي المليانى" الذي انتسبت إليه إحدى الطوائف وغالت في تقديسه، وقد عاصر مجيء العثمانيين مطلع القرن 16 وآزرهم على الزيانيين، وقد تحقق بذلك وعد عروج بربروس له لاحقا : لن ننساك ؟ بتعاقب نسبه على إمارة الركب الجزائري في العهد العثماني . بدءا بابنه محمد بن مرزوقة الذي نصبه خير الدين بربروس أميرا على ركب الحج . واشتهر

[1] _ أحمد بوسعيد، المرجع السابق، ص 68.

[2] _ أحمد بوسعيد، المرجع نفسه، ص 68.

كل من أحفاد الملياني في إمارة الركب : الحاج محمد بن السيد الخلادي وأحمد بن الطيب [1].

2_ كاتب الركب : يكون ملازما لأمير الركب، وعليه تدوين كل القضايا التي تخص الركب، الداخلية منها والخارجية فمهمته الأولى تحرير تقرير شامل على الرحلة المقدسة .

3_ القاضي : يعتبر هذا المنصب من أهم المناصب في الركب، إذا كان القاضي يؤدي دورا هاما في عملية التنظيم المعنوي والمادي، ويقوم على حل النزاعات وقضايا الطلاق والزواج وغيرها .

4_ العلام : يقوم بدور هام، وهو كشف الطريق والمواقع، ويكون دائما متقدما على الركب يحمل راية للإشارة حتى يتبعه باقي الركب [2].

5_ ممثلوا الجماعة : يتألف الركب من مجموعة كبيرة من الأفراد ينتمون إلى قبائل ومدن مختلفة، فعلى كل جماعة أن تختار شخصا ينوب عنها عند أمير الركب ويتلقى من عنده الأوامر [3].

4- الطرق البرية الرئيسية والثانوية للرحلة الحجازية داخليا وخارجيا

عرف المغرب الإسلامي شبكة من المواصلات تطورت عبر العصور لتشكل طرق رئيسية معلومة المحطات، وأخرى ثانوية تنتشر عبر كل البلاد، ويعود الفضل في كشف وتعيين هذه الشبكة إلى الرحالة الذين أسهموا بكتاباتهم، فأصبحت المسالك والدروب والمحطات معروفة التفاصيل والخصوصيات، وتنقسم الطرق الرئيسية إلى ثلاثة مسالك، لتتفرع من كل مسلك طرق ثانوية، وهي :

---

[1] _ أحمد أبو سعيد، المرجع السابق، ص 70.

[2] _ ليلى غويني، المرجع السابق، ص 57.

[3] _ ليلى غويني، المرجع نفسه، ص 57.

المسلك الأول : تكون نقطة انطلاقة من إقليم درعة عند الأطلس (المغرب الأقصى) ويمتد جنوبا على مسافة نحو مائتين وخمسين ميلا عبر صحراء ليبيا بفزان، ومنها إلى مصر والمسافة بينهما مسيرة قرابة ستين يوما [1].

المسلك الثاني : هو الطريق الذي يحاذي الساحل المغربي، ويعرف بالطريق الساحلي، وتكون محطاته عبر المدن الساحلية انطلاقا من المحيط الأطلسي متجها شرقا نحو الحجاز، وخطه كما يلي : فاس [2]، وجدة [3]، تلمسان، مستغانم، تنس، الجزائر، صفاقس [4]، ثم يواصل إلى طرابلس، ومنها يتجه شرقا مارا بالمدن الساحلية: تاجوراء، سدرت، واد الرمل ولبدة، تراغن وزليتن ومصراتة، مسلاتة فقصور حسان إلى سلوق، ثم ينعرج جنوبا عبر منطقة السروال التي تمتد إلى الجنوب من الجبل الأخضر، حيث يمر ببعض المناطق الداخلية كمخلي والخروية

---

[1] _ ليلى غويني، المرجع السابق، ص 58.

[2] _ فاس : اختلف في تسميتها فقيل أن إدريس لما شرع في بنائها كان يعمل فيها بيده مع الصناع والفعلة، يصنع له بعض خدمة فأسا من ذهب فكان يمسكه بيده، ويبدأ به الحفر فكبر اسم الفأس على ألسنتهم فكانوا يقولون هاتوا الفأس، خذوا بالفأس، احفروا بالفأس فسميت بذلك، وقيل أيضا لم تمت بالبناء قيل للإمام إدريس كيف نسميها، قال أسميها باسم المدينة التي كانت قبلها في موضعها واسمها ساف، وقلب اسمها وسماها به، وهي مدينة موجودة في المغرب، أنظر : علي الجرنائي، جنى زهرة الايس في بناء مدينة فاس، تح : عبد الوهاب بن منصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1991م، ص 18.

[3] _ وجدة : حسب صاحب كتاب الاستصار، هي مدينة كبيرة، مسورة قديمة أزلية كثيرة البساتين، والمزروعات والمياه، يمتاز أهلها بتمنارة ألوانهم وتنوع أجسامهم، بها طريق المارعن بلاد المشرت إلى بلاد المغرب ويعلمائه وغيرها، أنظر : إسماعيل مولاي عبد الحميد العلوي، تاريخ وجدة وأنكاد في دوحة الأمجاد ج1، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1985م، ص 13.

[4] _ صفاقس : تقع جنوب تونس العاصمة على الساحل الشرقي، وتبعد عنها بمسافة 270 كلم تقريبا وتقع شمال غرب طرابلس وتبعد عنها مسافة 430 كلم، أنظر : إبراهيم علاء الدين، أوضاع ليبيا ما بين الاحتلال الإسباني والنجدة العثمانية 1550_1551،ع127_128، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة تشرين، 2014م، ص 363.

[1]ويعود باتجاه الساحل عند التميمي، وعين الغزالة ودفنة وبقبق، ثم القصر إلى العقبة، ومنها إلى الإسكندرية

_ **المسلك الثالث** : هو الطريق العرضاني الأوسط أو الخط الوسطي الذي يمر جنوب ووسط الجزائر وتونس، ينطلق هذا الخط من إقليم سجلماسة متجها إلى بسكرة (أهم محطة تلتقي فيه جموع الحجاج الجزائريين والمغربيين)، ثم يمر بسيدي عقبة وسيدي ناجي إلى الجنوب التونسي، مارا بالحامة، قابس [2] وتوزر، وعرام ثم يواصل عبر ساحل طرابلس، شرتا، فيمر على المحطات التالية : برج الملح، الزوارة رواغة [3]، زنزور، طرابلس، المنشية، تاجوراء، ودي المسيد، ساحل حامد، مسلاتة، مصراتة، تورغة، العوينات [4]، بئر حسان، مطراو، الزعفران، معطن، لأحمر سرت النعيم، العقلية، اليهودية، إجدابية [5]، سلوك، بن غازي، التميمي عين غزالة، مقرب طرفاوي، جرجوب، الشمامة، المدار، العقبة، ومنها إلى الأراضي المصرية .

---

[1] _ تاجوراء : إحدى الضواحي القريبة من مدينة طرابلس حيث تقع إلى الشرق بمسافة 30 كلم، وهي التي أصبحت مركز للمقاومة منذ الإسبان في مدينة طرابلس ن أنظر : إبراهيم علاء الدين، أوضاع ليبيا مابين الاحتلال الإسباني والنجدة العثمانية 1551م، المرجع السابق، ص 354.

[2] _ قابس : هي مدينة تقع في الجنوب الشرقي من إفريقية على خليج يحمل اسمها يسمى خليج سرت الصغير، وقابس جنوب مدينة صفاقس، وهي مدينة بحرية صحراوية، فإن الصحراء متصلة بها والبحر على ثلاثة أميال، أنظر : إلهام حسين دحروج، مدينة قابس منذ الغزو الهلاليين في قيام الدولة الحفصية، مذكرة للحصول على درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 2000م

[3] _ زواغة : هو قبيلة زناتية شهيرة لم يبقى لها وجود بهذا الاسم، ولكن الأراضي التي كانت تسكن بها عند مجيء الإمام إدريس إلى فاس مازالت تعرف بها، وهي محاذية لفاس من جهة الجنوب على بعد 2 كلم، أنظر : علي الخرنائي، جنى زهرة، الاسن في بناء مدينة فاس، المرجع السابق، ص 19.

[4] _ العوينات : هي قرية تابعة لمدينة غات، والتي هي واحة من واحات ليبيا الصحراوية، أنظر : إبراهيم علاء الدين، أوضاع ليبيا مابين الاحتلال الإسباني والنجدة العثمانية، المرجع السابق، ص 354.

[5] _ إجدابية : مدينة في ليبيا حيث ذكر البكري بأنها مدينة كبيرة، في صحراء أرضها صفا وآبارها منقورة، وبها عين ماء عذب، وبعد مجيء قبائل بني سليم وبني هلال دمرت وخربت من طرف تلك القبائل، أنظر : خالد الهدار، القصر الفاطمي في إجدابية، مجلة الثقافة العربية، ع2، سنة 14، ص 3.

وقد اختار الورتيلاني في ذهابه إلى الحجاز هذا المسلك مقتديا بالرحالة السابقين أمثال العياشي [1] والدرعي، وعليه امتاز الورتيلاني باتساع رقعة سيره في البـــر، وتنـــوع الدروب في الذهاب والإياب، فكانت انطلاقته من بلدته متجها نحو مجانة ثم مـــزورة، قصر الطير، أولاد موسى، وطن ريغة، أولاد دراج [2]، بريكة [3]، معرجا نحو الجنوب إلى بسكرة، متخذا المسلك الثالث السابق الذكر .

أما في طريق العودة، وبعد اجتيازه القاهرة ومروره بالإسكندرية، فقد سلك نفس طريق الذهاب في الأراضي الليبية، وعند وصوله تونس عرج نحو الكاف [4] ليختـــار طريق الهضاب الشمالي الرابط بين القيروان وسطيف [5]، وقد ظل هذا المعبر محافظا محافظا على أهميته تعبره القوافل التجارية ويسلكه المسافرون والحجاج وقـــد ذكـــره أغلب الجغرافيين والعرب، وعددوا محطاته كالآتي : القيـــروان، جلـــول الأريـــس،

---

[1] _ العياشي : هو أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي، نسبة إلى قبيلة آية عياش الفاسي (1037ه/1090ه_1624م/1679م) صاحب رحلة ماء الموائد، وهي من أوقى رحلات الحج، أنظر : أوليا جلبي، الرحلة الحجازية، ط1، تر : الصفصافي أحمد المرسي، وأر الآفاق العربية، 1999م، ص 24.

[2] _ أولاد دراج : هي قبيلة تضم أعراش منها : أولاد عدي لقبالة، أولاد منايفة، أولاد نجاع، وبرهوم، سلالحة (مقرة)، أولاد عمر، أولاد زميرة، أولاد عربية، أولاد سيتة "عين الكلبة"، أولاد عثمان، مشكلة في ذلك الاسم الكامل باسم أولاد دراج حيث أصبحت سنة 1849م، نحن سلطة قايد الحضنة، أنظر : حليسي علي، التنظيم الإداري للبلديات المختلطة في الأوراس 1870م/1919م بلدية باتنة بلدية بريكة نموذجا، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، ص 73.

[3] _ بريكة : مدينة تقع في ولاية باتنة، في القسم الشمالي الشرقي من الجزائر، تشرف على شط الحضنة، تتربع عواصم، عاصمة الأوراس "باتنة"، ومن الغرب عاصمة الحضنة "المسيلة"، ومن الشمال عاصمة الهضاب العليا "سطيف"، ومن الجنوب بوابة الصحراء وعاصمة الزيبان "بسكرة"، أنظر : محمد الصغير غانم، مقالات دول تراث منطقة بسكرة والتخوم الأوراسية الفترة الرومانية، د."، مطبعة عمار قرفي، باتنة، ص 11.

[4] _ الكاف : هي مدينة من مدن شمال البلاد التونسية، تقع بمنطقة التل الأعلى على مسافة حوالي 30 كلم من الحدود الجزائرية، أنظر : الموسوعة التونسية، 2000م، ص 70.

[5] _ الورتيلاني، المصدر السابق، ص 74_273.

تادميت، تيفاش ، مهريين، تامسنت، دكمة، أوسيجت، المسيلة، كما أنهم حددوا المسافة بين القيروان وسطيف بحوالي 16 مرحلة، ومثلها بين سطيف وتاهرت .

وهناك عدة طرق ثانوية أهمها المسالك الرابطة بين الجنوب والشمال منها : طريق السفوح الجنوبية المتاخمة للزيبان، مسلكان أحدهما شرقي يصل باغاي ببادس والآخر غربي يربط نقاوس ببسكرة، ويضاف إلى هذه المسالك طرق فرعية كثيرة يصعب التطرق إليها كلها .

المبحث الثالث : أهم الرحلات الحجازية الجزائرية في العهد العثماني

كان المغاربة مولعين بالرحلة إلى المشرق الإسلامي لهذا كثرت رحلاتهم إليه ولقد أسهم الجزائريون مساهمة واضحة في الكتابة ولاسيما في القرن 18م، وكانت بعض رحلاتهم نتيجة للحج وبذلك تكون رحلات حجازية، وبعضها نتيجة لطلب العلم وبذلك تكون رحلات علمية، وللتطرق للرحلات الحجازية لابد من التطرق إلى أهم الرحلات العلمية التي قام بها الجزائريين في الفترة العثمانية [1].

أ_ **الرحلات العلمية** : هي تلك الرحلات التي قام أصحابها بغرض طلب العلم والزيارة والاطلاع على البلدان عموما والأخذ عن علمائها وممارسة التجارة فيها أحيانا، ومن أقدم من فعل ذلك [2].

1_ عاشور بن موسى القسنطيني "المعروف بالفكيرين"

نشأ بقسنطينة وأخذ العلم عن والده وغيره، توفي والده سنة 1054، فشد الرحال لطلب العلم في عدة بلدان، وطالت غيبته عن بلاده نحو 20 سنة، سمحت له بالاطلاع والملاحظة، وخدق لهجات ومعرفة قبائل وشعوب وبلدان، ومن هذه البلدان التي قصدها تلمسان، ثم جال في ملك الله إلى أن توغل في أرض السودان، ولقي بها أجلة من العلماء، وعندما رجع إلى بلاده أخبر بغرائب وما شاهد وما رأى وما أخذ عن

[1] _ ليلى لغويني، مرجع سابق ص60.

[2] _ أبو قاسم سعد الله، المرجع السابق، ج2، ص 383.

أولئك العلماء، وانتصب للتدريس بالزيتونة، وقد كان يحكي لتلاميذه غرائب ما رأى، ومن تونس توجه بأهله إلى الحجاز لأداء فريضة الحج فأدركه الموت سنة 1074، ومهما كان الأمر فإن رحلة مسموعة وغير مقروءة حتى الآن [1].

2_ رحلة عبد الرزاق بن حمادوش :

ولد عبد الرزاق ابن حمادوش سنة 1107ه_1659م في مدينة الجزائر، وكانت أسرته من طبقة الحرفيين التي كانت تمارس التجارة ولا تهتم بالسياسة، عاصر ابن حمادوش أحداثا وتطورات سياسية واجتماعية وثقافية، فقد دون في رحلته أنه عاصر عهد الباشوات الذين استبدوا بالحكم في الجزائر عن السلطان العثماني، وتثقف ابن حمادوش على شيوخ بلاده وعلماء المغرب وتونس [2].

كتاب الرحلة : قام ابن حمادوش بتأليف رحلة التي أطلق عليها عنوان لسان المقال في النبأ والنسب والحسب والحال، وهي تتألف من ثلاثة أجزاء تم العثور الجزء الثاني منها فقط، والذي قام بتحقيقه الأستاذ الفاضل الراحل أبو قاسم سعد الله، وتوجد هذه النسخة الوحيدة للرحلة في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم ك 463، وهي في شكل مسودة، ويؤكد ابن حمادوش نفسه في الجزء الثاني أنه قد انتهى من الجزء الأول وذكر في عدة مناسبات أنه تناول فيه كيت وكيت [3] أما أخباره عن المشرق فيكون قد دونه في الجزء الثالث المفقود ولسان المقال مكتوبة بخط واضح وحبر أسود باستثناء بعض العناوين والأسماء فإنها كتبت بالخط الأحمر، وهي مكتوبة بأسلوب بسيط غير مسجوع وهي في شكل مذكرات أو يوميات كان المؤلف يسجل فيها الأحداث والمشاهدات بصيغة الماضي في غالب الأحيان، وقد أكثر فيها الحشو والاستطراد

---

[1] _ أبو قاسم سعد الله، المرجع نفسه، ص 383.

[2] _ أبو قاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1، دار البصائر، الجزائر، 2007م، ص 223.

[3] _ عبد الرزاق ابن حمادوش الجزائري، رحلة ابن حمادوش المسماة "لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال" تح : أبو قاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1983، ص 13.

والنقول من كتب ووثائق المتقدمين والمعاصرين [1]، ويمكن تقسيم المحتوى العام للرحلة إلى ثلاثة أقسام :

1_ قسم المغرب وهو من صفحة 2_.75

2_ قسم عن المؤلف نفسه في الجزائر : وهذا القسم عبارة عن مذكراته وحوادث يومية عن قراءاته وملاحظاته ونشاطه .

3_ قسم يتضمن نقولا كثيرة من كتب ووثائق المتقدمين والمعاصرين : مثل كتاب تاريخ الدول للمليطي، بالإضافة إلى مجموعة عقود الزواج على عادة أصول مدينة الجزائر، ومجموعة من الأسانيد والإجازات [2].

ب_ الرحلات الحجازية : وتنقسم إلى :

1_ الرحلات النثرية : من أشهرها :

1_ رحلة البوني المسماة "الروضة الشهية في الرحلة الحجازية" مؤلفها هو أحمد بن قاسم بن محمد بن ساسي التميمي البوني . فقد عاش البوني في المشرق، لاسيما مصر والحرمين، كما عاش طويلا في تونس وقد ذكر الحيرتي أن البوني قد ورد رشيد وأجاز بها الشيخ حسن بن سلامة الطيبي المالكي المتوفي سنة 1176 [3] وقد نصح أحمد الزروق "نجل البوني" القارئ بقراءة هذه الرحلة بقوله "فعليك به (أي التأليف) فإن فيه طرفا وظرفا"، ولكن رحلة البوني تعتبر اليوم ضائعة، فلا يدري، هل هي مثل رحلة أبي راس يعدد فيه تنقلاته وشيوخه والمسائل العلمية التي عرضت له، أو هل هي مثل رحلة الورتيلاني يسجل فيه مسالكه ومنازله ودراساته وأخباره،

---

[1] _ أبو قاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 230.

[2] _ أبو قاسم سعد الله، المرجع نفسه، ص 230.

[3] _ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ط1، المرجع السابق، ص 390.

والمرافقين له والحوادث التي جرت له ومشاهداته ونحو ذلك، غير أن قول ولده فيه طرفا وظرفا يدل على أن الرحلة [1] لم تكن كلها من المسائل العلمية والشيوخ .

2_ رحلة أحمد المقري 986ه_1041ه/1578_1632م

يعد المقري من أهم الشخصيات العلمية للقرن 11ه_17م، اشتهر ولمع نجمه في سماء المشرق والمغرب، وشهد له معاصروه بالإمامة والفضل في الفقه وأصوله وفي علوم القرآن والحديث وعلوم اللغة، واسمه الكامل شهاب الدين العباس، ولد عام 986هـ_1558م بتلمسان حيث استقرت أسرته الأولى بعد أن انتقلت من بلدة مقرة [2]، حيث ذكر المقري ذلك في كتابه "وتلمسان هذه هي مدينتنا التي علقت بها التمائم وقد نزلها من سلفنا عبد الرحمان بن أبي بكر المقري بن علي صاحب الشيخ أبي مدين الذي دعا له ولذريته بما ظهر فيهم قبواه وتبين بها ولدت أنا وأبي وجدي وجد جدي" [3].

لقد كانت رغبة المقري شديدة لزيارة بلاد الحجاز، ولما أتيحت له فرصة السفر عزم على تحقيق أمنيته بزيارة مكة، وذلك في شهر رمضان من عام 1027هـ بعد أن استأذن ملك المغرب وهو زيدان الناصر ابن أحمد [4] فأذن له في الذهاب فغادر مدينة فاس نحو الحجاز لتأدية الحج والعمرة، فسافر برا مارا بالجزائر وتونس ثم اجتاز مصر المحاذية لنهر النيل، وركب البحر متوجها نحو جدة، وأدى العمرة في شهر ذي القعدة، ثم انتظر موسم الحج فحج . ثم قفل راجعا إلى مصر فوصلها في

---

[1] _ المرجع نفسه، ص 391.

[2] _ مقرة : بقاف مسيكنة وراء مفتوحة مدينة في المغرب في البر البربر قريبة من بني حماد بينها وبين طبنة ثمانية فراسخ، ويذكر المقري "هي من قرب الزاب إفريقيا" ـنظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، المطبعة المصرية، القاهرة، 1906م، ص 606.

[3] _ أحمد المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج1، تر : يوسف طويل، مريم طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، 2012م، ص 5.

[4] _ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص391.

محرم من العام الجديد 1029هـ، حيث يذكر "شمرت عن ساعد العزم بعد الإقامة بمصر مدة [1] قليلة، إلى المهم الأعظم والمقصد الأكبر الذي هو سر المطالب الجليلة وهو رؤية الحرمين الشريفين والعلمين المنيفين، فسافرت في البحر إلى الحجاز راجيا من الله سبحانه في الأجر الإنتجاز، ثم أكملت العمرة ودعوت الله أن أكون ممن عمر بطاعة ربه عمره وذلك أوائل ذي القعدة من عام 1028ه وأقمت هناك منتظرا وقت الحج الشريف" [2].

_ التعريف بكتاب الرحلة :

يقع المخطوط في نسخة واحدة متواجدة بالمكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم 3191 كتب المخطوط بالخط النسخي المغربي بمداد أسود وأحمر، وهو غير مجلد، ومثبت بالشكل التام وتتكرر التعقيبة "الحمد لله" في أعلى كل ورقة وبعد نهاية الكلام السابق، والمخطوط مخروم الأول والآخر، به آثار أرصنة ورطوبة، وآثار المياه في بعض أوراقه كالورقة 21و22، وتبدو حالة المخطوط سيئة تصعب قراءته في كثير من المواضع لوجود تشطيبات كثيرة، كتاباته مترامنة وصغيرة بقلم المؤلف ذاته، ويظهر أن المخطوط عبارة عن مسودة المؤلف لوجود التصحيحات على الهوامش، وإعادة الكاتب التعبير في بعض المواضع، وتصحيح ما قد كتب [3].

عنوان الرحلة مسجل ضمن قائمة المخطوطات التي وضعها جورج ديفان [4] وتبدأ الورقة الأولى ب "وكتب لي بعض علماء مصر باللغز المسطور بمحموله وأجبت عنه

---

[1] _ وليد زوهري، المرجع السابق، ص 157.

[2] _ المقري، نفح الطيب، المرجع السابق، ص.ص 39_44.

[3] _ سفيان الأبياري صورة المشرق العربي من خلال رحلات الجزائريين في العهد العثماني (سميرة أساعد) ملتقى أهل الحديث، منتدى السيرة والتاريخ والأنساب، 12/2013م10، الجزائر .

[4] _ جورج ديفان، مستشرق فرنسي، تخرج من جامعة باريس قسم اللغات الشرقية وانتدب للعمل في الجزائر سنة 1881، ثم شغل منصب مدير مدرسة وهران، اهتم بدراسة التاريخ والأدب الشعبي الجزائري، له عدة مؤلفات أهمها تاريخ الباشوات العثمانيين في الجزائر سنة 1515م إلى سنة 1745م، توفي عام 1919م.

بما يليه والعذرين في الاختصار وعلى الله قصد السبيل..." وتنتهي الرحلة بالجملة التالية "ونص العنوان الشيخ العلامة الإمام أكبر الفهامة الهمام صدر العلماء الأعمال كمال مشايخ الإسلام مولان الشيخ أحمد المقري أدام الله إجلاله وزاد إقباله وبلغه أماله" وقد ألت هذه النسخة عن طريق حفيدة المستشرق الفرنسي جورج ديلفان عام 1993م ضمن مجموعة من المخطوطات التي أهدتها إلى السفارة الجزائرية بفرنسا، وتم إيداعها بقسم المخطوطات بالمكتبة الوطنية الجزائري [1].

_ قد يتعذر على الباحث أن يكشف منهج المؤلف خصوصا وأنه لم يتبع خط سير الرحلة الحجازية بشكل واضح، ولم يعتمد على ترتيب الأحداث ترتيبا زمنيا، لكن بعد قراءات متكررة ينمزح أن الكاتب يدخل ضمن كتب أدب الرحلة دون أي شك فقد تطرق المؤلف إلى الحديث عن ملخص لقاءاته ونشاطاته العلمية في رحلاته للمغرب والمشرق، ويمكن تقسيم الرحلة إلى مرحلتين :

المرحلة الأولى : والتي تضمنت :

أ_ نشاطه في المغرب الأقصى أثناء تواجده فيه.

ب_ نزوله بمدن الجزائر ثم تونس وسوسة ولقاءه بعلمائها.

المرحلة الثانية : ضمت هذه المرحلة :

_ نشاطه الفكري والعلمي في بلاد المشرق : مصر، الحجاز، مكة، المدينة المنورة، دمشق، القدس [2].

_ ومما امتازت به الرحلة هو افادتها بمجموعة من الإجازات النظمية والنثرية، وهي حوالي 20 إجازة تمت بين المؤلف والعلماء عصره، كما احتوت على عدد لا بأس به من الرسائل الإخوانية والقصائد الأدبية، فساهمت بذلك في التعريف بأعلام الفكر،

[1] _ ليلى غويني، المرجع السابق، ص 32.

[2] _ ليلى غويني، المرجع نفسه، ص 33. 34.

ولعل هذا ما جعل الرحلة تمتاز بصبغة علمية، فهي تقدم صورة عن مختلف مظاهر النشاط الثقافي لكل بلدان المغرب والمشرق تقريبا [1].

3_ رحلة الحسين الورتيلاني "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار 1193ه_1179م

هو الحسين بن محمد السعيد بن الحسين بن محمد بن عبد القادر بن أحمد الشريف نجل الولي سيدي علي البكاي البجائي الذي أصله من مدينة تافيلا لت بالمغرب الأقصى .

ولد عام 1125ه_1713م بقرية بني ورتيلان [2]، صاحب الرحلة الشهيرة نزهة الأنظار وذكر في رحلته ما شهده من الأمكنة ومن اجتمع بهم من الأعيان ومن أخذ عنهم من العلماء، طبعت هذه الرحلة في تونس سنة 1321ه في ثلاثة أجزاء قد لا يستفيد منها الكثير من طلاب العلم، لأنها طبعة حجرية وبالخط المغربي العتيق، ثم طبعت في الجزائر سنة 1394ه في دار الكتاب العربي [3].

_ يبدأ المؤلف من صفحة 375 بدخوله مكة المشرفة إلى أن خرج من المدينة في صفحة 532 يعني مائة وخمسين صفحة خصها للحديث عن الحجاز، وقد عمد المؤلف إلى وصف الآثار من المساجد والأودية والجبال والآبار وغيرها، ومن لقيه من العلماء، ووصف الطريق التي يسلكها الحجاج في زمانه، وذكر الصالحين في كل بلد، إذ يذكر الورتيلاني "فإنني لما تعلق قلبي بتلك الرسوم والآثار، والرباع والقفار

---

[1] _ ليلى غويني، المرجع السابق، 34.

[2] _ بني وريتلان : تقع أقصى جنوب الشمال الغربي لولاية سطيف، وأقصى الجنوب الشرقي لمنطقة القبائل الكبرى، وأقصى الجنوب الغربي لمنطقة القبائل الصغرى زواوة الشرقية، وأطلق عليها هذا الاسم نسبة إلى قرية تقطن المنطقة، يدعي أصحابها الانتساب إلى جد واحد اسمه ورتيلان، أنظر محمد أكلي كزار جمال رحام، التحولات الكبرى في القرى الجبلية القبائلية : حالة قرى ومداشر منطقة، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في العمران، قسم الهندسة المعمارية والعمران، كلية علوم الأرض والجغرافيا والتهيئة العمرانية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007م/2008م، ص 160.

[3] _ وليد زوهري، المرجع السابق، ص 160.

والديار والمعادن والمياه والبساتين والأرياف والقرى والمزارع والأمصار والعلماء والفضلاء والنجباء والأدباء من كل مكان من الفقهاء والمحدثين والمفسرين الأخيار والأشياخ العارفين والإخوان والمحبين ....أنشأت رحلة عظيمة يستعظمها البادي ويستحسنها الشادي فإنها تزهو بمحاسنها عن كثير من كتب الأخبار مبينا فيها بعض الأحكام الغريبة والحكايات المستحسنة، والغرائب العجيبة، وبعض الأحكام الشرعية مع ماضيها من التصوف مما فتح علي به أو منقولا من الكتب المعتبرة" [1].

وكان الورتيلاني يسجل كل ما يشاهده أو يسمعه في كتبات وأوراق غير منتظمة، وبعد عودته إلى وطنه قام بإعادة ترتيبها وكتابتها، وانتهى من ذلك سنة 1182ه، كما تتضمن الرحلة نقلا عن الناصري والعياشي وهي كثيرة وأحيانا طويلة وهي خاصة ببلاد الحجاز [2].

وكان الورتيلاني عند كلمته، ولاسيما بالنسبة لأخبار المتصوفة، فقد خصص قسما كبيرا عن رحلته لإخبارهم في الجزائر وغيرها، كما استنكر طريقة الحكم العثماني، وقلة العلم في عهده وشيوخ الرشوة والاستيلاء على الأوقاف وانتشار الظلم، ويتضح أن رحلة الورتيلاني تعتبر موسوعة أخبار عن جزء كبير من العالم الإسلامي في القرن الثاني عشر (18م)، فهي من المراجع التي لا غنى عنها في هذا المجال.[3]

ويندرج كتب نزهة الأنظار ضمن أدب الرحلة، وقد انتهج الحسين الورتيلاني النهج المعتاد، فبدأ بذكر العزم على السفر والاستعداد النفسي بعد رؤيته للنبي صلى الله عليه وسلم في منامه فتشوق لزيارة مدينته، ثم عرض مرحلة التجول عبر أهم الأضرحة

---

[1] _ الحسين الورتيلاني المصدر السابق، ص 12_13.

[2] _ سميرة أساعد، الرحلات الحجازية في الأدب الجزائري من القرن الحادي عشر إلى الثالث عشر الهجريين ق 17_19، الوكالة الإفريقية للإنتاج السنمائي والثقافي، ط1، الجزائر، 2011م، ص 44.

[3] _ أبو قاسم سعد الله، المرجع السابق، ج2، ص 398.

والزوايا بالجزائر للتبرك بها، وانتقل إلى مرحلة التوديع التي ذكر فيها رفاقه في الرحلة والأهل والأقارب، ثم سير الرحلة صوب المشرق [1].

4_ رحلة محمد ابن أحمد الحليلي المعروف بأبو راس المعسكري 1237ه_1824م

شهد القرن الثالث هجري تأليف رحلات حجازية كثيرة منها رحلة محمد ابن أحمد ابن عبد القادر بن الناصر المعسكري المعروف بأبي راس الناصر وعنوان رحلته الشهيرة فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته وهي متوفرة لحسن الحظ كاملة، محققة ومطبوعة، وأشرف على طبعها محمد ابن عبد الكريم الجزائري [2].

عرف على أبوراس تجربة السفر والترحال منذ صغره، إذ كانت ولادته سنة 1150هـ_1757م قرب جبل كرسوط بالغرب الجزائري، توفيت أمه ثم أبوه فكفله أخوه الأكبر الذي سافر به إلى معسكر، وهناك حفظ أبوراس الناصر القرآن الكريم، وتعلم الأحكام ثم الفقه، ثم تولى القضاء والتدريس في معسكر .

_ والحق أن رحلة أبي راس الناصر تختلف كثيرا عن الرحلات المذكورة، رغم كونها تتناول موضوع الرحلة إلى الحجاز لغرض أداء فريضة الحج، فهي تظهر علمية أكثر منها دينية [3]، كان المؤلف يهتم بالعلم والعلماء في المثل الأول وملاقاة الشيوخ، وأجازوه حيث ذكر أبوراس الناصر عندما دخل أم القرى (مكة) "فاجتمعت بعلمائها وفقهائها كالعلامة الدارك السيد عبد المالك ... وكنت قرأت نبذة عليه، نبذة من الحديث ونبذة من الكنز، وشيئا من التفسير في سورة النور وأجازني بالباقي" [4].

---

[1] _ ليلى غويني، المرجع السابق، ص 38.

[2] _ سميرة أساعد، المرجع السابق، ص 41.

[3] _ وليد زوهري، المرجع السابق، ص 162.

[4] _ محمد أبو راس الناصر، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، تح : محمد ابن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1990م، ص 184.

يعتبر كتاب رحلة "فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته" من أهم ما كتب أبوراس، حيث يقدم لنا حياته بقلمه، ويسلط الضوء على بيئته الثقافية، ولحسن الحظ توجد الرحلة كاملة، حيث أقدم محمد ابن عبد الكريم على تحقيقها اعتمادا على ثلاثة نسخ :

1_ مخطوط الرحلة للشيخ عبد الحي الكتاني المتواجدة في الخزانة العامة بالرباط.

2_ مخطوط الرحلة للشيخ عبد الرحمان بن محمد الجيلالي .

3_ مخطوط الرحلة للشيخ أحمد جلول البدوي [1].

وكتب أبو راس رحلته في أواخر حياته عام 1233ه_1818م وعلى الرغم من أن الرحلة صيغت بالأسلوب الذي عرف المتصوفة، وهو أسلوب التحدث بنعمة الخالق علا وجلا، وبالتحدث عن النفس والعواطف الوجدانية إلا أنه انتهج منهجا دقيقا، فقسم كتاب الرحلة إلى 5 أبواب :

الباب الأول : تكلم فيه عن نشأته وسبب اختياره لعنوان الرحلة، مقتديا بالفقيه عبد الرحمان السيوطي، وسماه "ابتداء أمري" .

الباب الثاني : تحدث فيه عن أساتذته وشيوخه، وأطلق عليه اسم "في ذكر أشياخي النافضين عن قشب أوساخي، شريفة، وحقيقة، وقرآنا وطريقة" .

الباب الثالث : ذكر فيه رحلته ولقاءه بعلماء المغرب والمشرق، وعنوانه "في رحلتي للمشرق والمغرب وغيرهما، ولقاء العلماء الأعلام، وما جرى لي معهم من المراجعة والكلام .

الباب الرابع : أورد فيه كل المسائل التي دارت بينه وبين علماء عصره، وأطلق عليه عنوان "في الأسئلة وما يتعلق بها" .

[1] _ ليلى غويني، المرجع السابق، ص 44.

الباب الخامس : عدد فيه كل مؤلفاته وسماه "المسجد والأبريز في عدة ما ألفت بين بسيط ووسيط وجيز" [1].

2_ الرحلات الشعرية :

تمثل الرحلة إلى الحجاز معلما بارزا لدى العلماء المغاربة، وفي محاولة لرصد آثار تلك الرحلات المتعاقبة على الحجاز في الفترة المدروسة، نجد قسما منها اختار أصحابها كتباتها نظما، وينقسم هذا النوع من الرحلات إلى رحلات حقيقية، وأخرى خيالية، أو ما يعرف بالقصائد الحجازية أو الموشحات، أما القسم فتتوفر الخزينة الجزائرية على مجموعة بسيطة منه ترجع إلى هذا العهد، نذكر منها :

1_ رحلة عبد الرحمان المجاجي (القرن 11ه_17م)

هو عبد الرحمان بن محمد بن الخروب المجاجي، من أهل القرن الحادي عشر هجري (17م)، صاحب المغارسة، تفقه بمجاجة [2] على يد الشيخ سيدي محمد بن علي، ثم أخذ من علماء تلمسان وفاس، وله عدة تآليف أشار إليها منها كتابه الذي سماه التبريج في أحكام المغارسة والتمير والتوليج .

أما عن رحلته الحجازية التي اختار أن تكون قصيدة مطولة فصيحة تحمل عنوان رحلة المجاجي، وهي رحلة منظومة قام بها سنة 1063ه يصف فيها المؤلف بدقة متناهية الطريق من بلاد الحجاز إلى بلاد مجاجة بالشلف فيذكر أخبارا فريدة عن البلاد التي دخلها، زار الأماكن المقدسة بالمدينة : دار النبي محمد صلى الله عليه وسلم والمسجد النبوي ومقام الصحابة والخلفاء والتابعين [3].

---

[1] _ ليلى غويني، المرجع نفسه، ص 45.

[2] _ مجاجة : أصل أشراقها من الأدارس، أو بالأحرى أبناء إدريس الأصغر وأحفاده الذين سكنوا منطقة شلف غرب عاصمة الجزائر، أنظر آسيا متلق، مسيرة حياة الشيخ، مسيرة الشيخ العلامة الحاج علي بن عشيط المجاجي، الملتقى الوطني الثاني حول أعلام حوض الشلف، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، ص 8.

[3] _ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج2، المرجع السابق، ص 388.

وبعد زيارة النبي محمد ومن انتمى لهم بأحسن سيرة

مع الحسن أيضا كذلك أمه وأصحابه والتابعين الأجلة

وفي مدينة جريدة بالحجاز تحدث المجاجي بإسهاب عن وفاة بنت شيخه وإن تجاوز ذكر اسمه وقد كانت صوامة قوامة صالحة :

رحلنا بها يومين بعد نحبها كفى شرفا لها بهذي الفضيلة

دفناها بالبقيع وحولها وسيرنا بها نحو الديار الشريفة

وفي رحلة العودة إلى الديار نزل المجاجي وركب الحجاج بلاد مصر وأقاموا فيها أياما التقى خلالها المؤلف علماء أجلاء :

فصلينا فيهم والتقينا بكل من له في طريق العلم والخير شهرة

كمثل الأجهري العالم الذي له رتبة تسمر عن كل رتبة[1]

وقد حضر مجلس شيخ القراءة أبي سلطان ولم يخف المجاجي إعجابه بعلمه وسعة إطلاعه :

فسبحان من أعطاه علما وحكمة ولاسيما إتقان علم القراءة

والتقى المجاجي بالشيخ على الأجهري بمصر، وزار في الإسكندرية قبر أبي العباس أحمد المرسي وقبر ابن الحاجب، ومن الذين حجوا معه أبو الحسن ابن ناجي، صاحب الخنقة، الذي كانت له قرابة مع أمير ركب الحجاج الجزائريين [2]، ثم مروا ببلاد ليانة وبسكرة، وقد أعجب المجاجي بنخلها وزيتونها، ثم دخلوا بلاد مسيلة وثنية الحد والجزائر العاصمة حيث استقبلوا بالكرم والبشاشة، ثم خرجوا منها قاصدين متيجة ومليانة، وزاروا مقام القطب أحمد بن يوسف، ثم وصلوا أخيرا الشلف وهي موطن الرحالة [3]:

---

[1] _ وليد زوهري، المرجع السابق، ص 158.

[2] _ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج2، ص 388.

[3] _ وليد زوهري، المرجع السابق، ص 159_160.

فسرنا إلى الغروب ثم بتنا بواد من تسمى شلفا فيه للعير راحة

وعند الصباح منه أتتنا فصرنا لأولادنا والأهل والقرابة

ومن يتمعن النظر في رحلة المجاجي يجدها عبارة قصيدة فصيحة بسيطة التعبير محتوياتها تجمع مابين معلومات شتى في مختلف المجالات كالتصوف والتاريخ والجغرافيا والبلاغة والتراجم وغيرها، كما قدم صورة واضحة عن الصلة المزدوجة بين الرحلة إلى الحج وطلب العلم في نفس الوقت [1]، وهذا ما يميز الرحلات الحجازية عامة، والدور الذي لعبه ركب الحج ثقافيا وحتى اقتصاديا، كما ترك المجاجي انطباعات جيدة حول انتظام الركب وتنظيمه من قبل أميره، ولانتظام هذه الرحلة يمكن إحصاء عدد أبيات كل مرحلة مر بها المجاجي، وما خصص لكل قطر مؤلفه من أبيات، فقد خص بلاد الحجاز 75 بيت ومصر 76 بيت أما بلاد المغرب (برقة، طرابلس، تونس، الجزائر) ب 230 بيت [2].

رحلة محمد بن مسايب 12هـ:

هو محمد بن مسايب، ينحدر أصله من أسرة أندلسية لجأت إلى مدينة فاس ومنها إلى تلمسان، أما عن تكوينه العلمي فيظهر من كتاباته للقصائد المديحيات وأخرى حول المرابطين والأولياء أن تكوينه ديني، وقد جاءت شهرته بكتاباته لرحلته الحجازية المعروفة التي اختار كتابتها بالشعر الملحون أو الشعر الشعبي الذي عرف انتشارا واسعا في الجزائر خلال العهد العثماني [3] وهي قصيدة من الشعر الملحون

---

[1] _ سعاد آل سيد شيخ، رحلة عبد الرحمان بن محمد بن الخروب المجاجي نموذج الرحلة الحجية النظمية خلال القرن 11هـ/17م، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع20، جامعة غرداية، 2014م، ص 203.

[2] _ سعاد آل سيد شيخ، المرجع نفسه، ص 204.

[3] _ ليلى غويني، المرجع السابق، ص 53.

نظمها ابن المسايب التلمساني خلال القرن 12ه يصف خلالها طريق الحج من تلمسان إلى مكة بدايتها [1]:

يالورشيان أقصد طيبة ويسلم على الساكن فيها

يالورشان أقصد طيبة وزر وافقد مرسم شيبة

لا تجمم في أمر الغيب ولا تحدث نفسك بها

يصف ابن المسايب الطريق بدق بالغة، والأماكن، والأماكن الواجب زيارتها بقصر العباد، وضريح سيدي أبي مدين [2]، والشرح السنوسي ومقام سيدي أحمد بن يوسف بمليانة، وسيدي عبد الرحمان بالعاصمة، مرورا بسيدي الباجي وبن يونس بتونس، ثم مغارات سيدنا شعيب عليه السلام، وصولا إلى مكة المكرمة أما الطريق فمتعارف عليه انطلاقا من تلمسان مرورا بجبال تسالة [3] فواد تليلات ومستغانم، وسيدي العابد، وواد الفضة، ومليانة ومتيجة، وبوفاريك والجزائر العاصمة، ومزغنة

---

[1] _ وليد زوهري، المرجع السابق، ص 162.

[2] _ ضريح سيدي أبي مدين : يقع ضريح أبي مدين الغوث ضمن مجمع معماري بالعباد، والذي توجد شرق مدينة تلمسان، وتم بناؤه بأمر من السلطان محمد ابن ناصر ابن السلطان الموحدي أوائل القرن 16ق، يليق بذاكرة الشيخ أبو مدين وتشيده فاتحا ذلك باب من أتى بعده في البدع والترتيب، أنظر راضية عطا الله، الأثر الاجتماعي لزيارة الأضرحة بتلمسان ضريح سيدي أبي مدين الغوث نموذجا، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ الإسلامي في العصر الوسيط، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، ، جامعة محمد بوضيلف، المسيلة، 2019/2018، ص 25.

[3] _ جبال تسالة : هي جبال موجودة في ولاية سيدي بلعباس بالجزائر أنظر حنيفي هلايلي، الملتقى الدولي حول المدينة والتنمية المستدامة، كلية الحقوق، جامعة سيدي بلعباس، ص 1.

ثم قسنطينة، فتونس ومصر، وصولا إلى مكة، يقول ابن المسايب [1]:

دار الحبيب أحق أن تهواها وتحن من طرب إلى ذكراها

أدخل من واد مـــــــكة باشر البيت وقابلهـــــــا

طف يا طيري سبع أطواف بالقدم وتبع الأشـــــــراف

وانتبه يا كامل الأوصاف للحجر واستمسك بيـــــــها

[1] _ وليد زوهري، المرجع السابق، ص 163.

الفصل الثاني

رحلة ابن عمار أنموذجا " رحلة اللبيب بأخبار رحلة إلى الحبيب"

المبحث الأول: سيرة ابن عمار

المبحث الثاني: دراسة لرحلة نحلة اللبيب في أخبار رحلة إلى الحبيب

المبحث الثالث: الأهمية العلمية لرحلة ابن عمار

المبحث الأول: سيرة ابن عمار

1- اسمه ونسبه

هو أبو العباس أحمد بن عمار بن عبد الرحمان بن عمار،[1] من العائلات الأندلسية المهاجرة إلى الجزائر بعد خروج العرب والمسلمين من الأندلس وقد تكون أسرته استقرت في مستغانم أو تلمسان قبل انتقالها إلى مدينة الجزائر.

لا نعرف حتى متى ولد ولا متى وأين توفي كل ما نعرفه عنه أنه من أهل القرن الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر للهجرة،[2] لكن أقدم تاريخ نعرفه عنه هو 1159هـ ويمثل سنة تفريض الكتاب "الدرر على المختصر" لابن حمادوش[3] وقد عاش ابن عمار إلى ما بعد سنة 1205ه وهو تاريخ إجازته لمحمد خليل المراد الشامي والتي توجد ضمن إجازته ضمن إجازاته بالمكتبة الظاهرية بدمشق وبأسفلها خاتم ابن عمار المكتوب فيه: "الواثق الجبار عبده أحمد ابن عمار"،[4] وبذلك يكون عمره سنة 1159ه حوالي أربعين سنة ولذلك حسب أبو القاسم سعد الله أن ابن عمار قد ولد حوالي 1119ه.

كما أن انتماء ابن عمار مجهول أيضا فنسبه غير معروف ومما يبدو أن ابن عمار ينتمي لأسرة عريقة في العلم والشرف ويؤيد ذلك العبارة المنقوشة على خاتمه: "سليل الأشراف الصالحين وخلاصة يد التقي والدين".[5]

---

[1]- محمد بسكر: أعلام الفكر الجزائري من خلال آثارهم المخطوطة، ج1، دار كردادة، بوسعادة، الجزائر، 2013، ص 91.

[2]- أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص 224.

[3]- عبد الرزاق ابن حمادوش: لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص 259.

[4]- أبو القاسم سعد الله: تجارب في الأدب والرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1973، ص 64.

[5]- أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص 237.

ويكون المراد بالشرف بالنسب النبوي كما هو متواتر ومتواطأ عليه العرف الجزائري، أما أفراد أسرته فلا نعرف أكثر من أن والده كان عالما وعلى قدر من التدين ولكننا لا ندري ما كان يعمل ويشير إلى ذلك الشاعر الجزائري أحمد الغزال في مديحه لابن عمار:[1]

هلموا إلى مأوى المغافر والعلا هلموا إلى الأسمى ابن عمار أحمد

بوالده دينا وعلما قد افتقدى لقد جل نجل كان بالأب يقتدي

فأكد به من ماجد وابن ماجد وأنعم به من سيد وابن سيد

كما يعرفنا ابن حمادوش بخال ابن عمار محمد بن سيدي الهادي بأنه أحد العلماء البارزين في مدينة الجزائر خلال القرن الثاني عشر للهجرة، أما ما عدى ذلك فهو تشابه في الأسماء لعلماء سكنوا مدينة الجزائر، ومنعم سيدي أحمد زروق بن عمار الذي كان خطيبا بالجزائر وتولى الإفتاء المالكي في مدينة الجزائر ما بين 1022ه-1030هـ كما جاء في سلسلة مفاتي المالكية.[2]

2- شخصيته العلمية

أحمد بن عمار أديب وعلامة من أعلام زمانه في العلوم النقلية والعقلية له اشتغل بالحديث والتاريخ،[3] مفتي المالكية الجزائري رحمه الله، كان من نوابغ عصره وأفاضل عصره وعبد الله حظى من سيلان القلم وطلاقة اللسان، لحق به شأن ولسان الدين والفتح بن خاقان وبديهة في البيان والمعان زاحم بها الحرييري والهمذاني وذكر في المشارق والمغارب، أغنى أهله عن الإطراء وتلفيق المناقب.[4]

---

[1]- الحفناوي أبي قاسم: تعريف الخلف برجال السلف، ج1، بير فونتانة الشرقية، الجزائر، 1906، ص 142.

[2]- ابن حميدوش: مصدر سابق، ص 122.

[3]- عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، 1980، ص 97.

[4]- الحفناوي: مصدر سابق، ص 83.

تولى ابن عمار فتوى المذهب المالكي من سنة 1180ه إلى 1184ه وجلس للتدريس في الجامع الكبير بالعاصمة وانتصب للخطابة والإمامة بحكم وظيفته فنجد ابن عمار في بداياته الأولى قد تلقى العلم على يد الشيوخ داخل الجزائر قبل أن يسافر إلى الخارج ولا شك أن دراسته تركزت أكثر على الفقه والأدب فالأول لأنه كان من عادة المتعلمين حيث بعد حفظه القرآن الكريم ينتقلون المتون الفقهية فيحفظونها ويهتمون بشروحها وحواشيها كمختصر خليل ابن إسحاق المالكي إضافة إلى كتب أخرى مكنته من تولي وظيفة الإمامة والخطابة، أما الأدب فإن ابن عمار كان شديد الميل إليه من خلال حفظه عيون الشعر العربي القديم كشعر المتنبي، إضافة إلى دور المنثور دون أن يهمل التاريخ والسير سواء ما تعلق بالتاريخ الإسلامي أو الفارسي أو اليوناني.

ونرى ذلك مائلا في شعره فمن قوله في مدح شيخه ابن علي:[1]

ما خاص يوما نطقه في حكمة إلا اختفى سقراط بين دنانه

ونرجح أن يكون ابن عمار أخذ الأدب عن محمد بن علي الذي كان أديبا مرموقا في عصره وكثرة ملازمته له دليل على ذلك وكان يلقبه بـ "شيخنا".

3- رحلاته وأسبابها

تعددت الأسباب في رحلات ابن عمار إلى خارج القطر الجزائري فجمعت بين الأسباب الدينية والعلمية وحتى السياسية.

أ- الأسباب الدينية

كانت رحلة ابن عمار الدينية قصد أداء مناسك الحج فكانت نفسه تتشوق إلى البقاع المقدسة ومجاورة بيت الله الحرام، وهذا ما كان في مقدمة رحلته التي تحدث عن الآية: ﴿**وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ**

[1]- أبو القاسم سعد الله: أشعار جزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ص 43.

عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[1]، كما كانت وسيلة دافع فيما على التعاليم الإسلامية والمبادئ الدينية التي تميزت بها الشريعة الإسلامية حيث أنه ذكر بعض العادات السيئة والتجاوزات التي كانت تقام في الأماكن المقدسة.

ب- **الأسباب العلمية**

تعد الرحلة من العوامل الأساسية لاكتساب العلوم وتنوعها التي نوه ابن خلدون عن أهميتها حين قال: "والمرحلة لا بد منها في طلب العلم ولاكتساب الفوائد والعمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرحال".[2]

حيث رحل ابن عمار إلى مجموعة من البلدان العربية كتونس والمغرب والحجاز بهدف

طلب العلم وزيادة التحصيل ومخالطة العلماء لتصحيح معلوماته أو توثيقها.

ج- **الأسباب السياسية**

هذا ما وجدناه من خلال تأثره بباي تونس الذي خص له بتأليف تناول فيه سيرته الذاتية، بعدما غادر إلى تونس قصد الاستيطان سنة 1159ه، لكنه غادرها بعد وفاة الباي قاصدا الحرمين الشريفين.

رحلاته:

وهنا نستطيع أن نحدد رحلتين لابن عمار الأولى مشرقية حين شد الرحال إلى البقاع المقدسة بغرض الحج سنة 1166ه رفقة الشيخ حسين الورتلاني،[3] وهذا ما دونه في رحلته: "أعلم وفقني الله وإياك لمرضاته، وعصم كلامنا من الخطأ والخلط والزلل في حركاته وسكناته ولحضاته، أني عزمت على الرحلة إلى الحجاز عزما نسخت

---

[1]- سورة آل عمران: الآية 97.

[2]- حسين محمد فهيم: أدب الرحلات، مرجع سابق، ص 80.

[3]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ص 239.

حقيقته الحجاز أوائل سنة ستة وستين ومائة وألف"، وقد عبر على شوقه وحنينه لرؤية الحبيب فقال:[1]

والشوق أعظم أي يحيط بوصفه فلم وإن يطوي عليه كتاب

والله ما أنا متصف إن كـــان لي عيش يطيب وحيرتي غياب

أقطع ليلي تململا وســـــهادا كأن الأرض لم تجعل لي مهادا

وهو في مصر أخذ طريقه الخلواتية "الرحمانية عندنا" وترك فيهـــا رســـالة مـــن تاليفه كما تتلمذ على يد بعض مشايخ الأزهر منهم "الشيخ خليل المغربي" فـــي مســـجد الحسين بالقاهرة، وبعد قضائهما لمناسك الحج عاد ابن عمار إلـــى الجزائـــر تجـــاور أثناءها بالحرمين الشريفين حوالي اثني عشر سنة وكانت عودته في سنة 1178ه[2] وفي هذه المجاورة كتب رحلته الشهيرة "نحلة اللبيب بأخبار رحلة إلى الحبيبـــي"،[3] وتـــولى بعدها وظيفة الإفتاء المالكي بمدينة الجزائر من سنة 1180ه حتى سنة 1185هـــ.[4]

أما رحلته الثانية فكانت نحو تونس سنة 1195ه قاصدا الاستطان بها كما يقـــول تلميذه *إبراهيم السيالة، وبعد إقامته في تونس شارك في الحياة الأدبية والدينيـــة هنـــاك وقام بتأليف عملين الأول هو رسالة في التفسير والأدب كما ألف كتاب في باي تـــونس علي باشا بن حسن وأسهم في مناظرة للعلماء بحضرة الباي ونجهل مدة إقامته حيـــث كانت له بعض الأسباب كمنافسة العلماء به ووفاة الباي سنة 1202ه حمله على الهجرة

---

[1]- أبي العباس سيدي أحمد بن عمار: نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيبي، تح: ابن أبي شنب، مطبعة فونتانة، الجزائر، 1903، ص 10.

[2]- أبو القاسم سعد الله: مرجع سابق، ص 226.

[3]- أبو القاسم سعد الله: مرجع سابق، ص 226.

[4]- الحفناوي: مصدر سابق، ص 328.

* إبراهيم السيالة: هو إبراهيم بن عبد الله السيالة الصفاقسي من تلاميذ ابن عمار الجزائر، قام بجمع ثبت شيخه وأتمه سنة 1204ه وسماه "منتخب الأسانيد في وصل المصنفاة والأجزاء والمسانيد" من مألفاته محاسن الأزهار ودودة الأخبار، محمد محفوظ: تراجيم المؤلفين التونسيين، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1982، ص 95.

من جديد إلى المشرق ومجاورة الحرم، وانقطعت أخباره إلى أن أجاز محمد خليل المرادي الشامي صاحب كتاب "سلك الدور" سنة 1205ه، ويذكر أبو راس الناصري في "فتح الإلة" أن ابن عمار توفي في الحرمين الشريفين بعد أن جاورهما مدة من الزمن أسبل الله عليه ما يعطر أرحانه، وأحله من رياض الفردوس حيطانه.[1]

4- شيوخه وتلامذته

كان لابن عمار في رحلاته لقاءات مختلفة مع علماء ومشايخ من كل الأقطار حيث استفاد من علمهم ومن بينهم خليل المغربي بالقاهرة، وأحمد بن محمد الورزي المغربي وعمر بن أحمد المكي ولكن الشيخ الذي كان شديد الملازمة له هو محمد بن علي.[2]

أما الذين تعلموا على يد ابن عمار فكثيرون منهم: محمد أبوراس الناصري الذي قرأ عليه الفقه الحنفي وأحمد الغزال ومحمد خليل المرادي الشامي وإبراهيم السيالة التونسي الذي جمع إجازات شيخه ابن عمار ومروياته المسماة "منتخب الأسانيد في وصل المصنفات والأجزاء والمسانيد" وأجازه ابن عمار في سنة 1204ه بها ووضع عليها خطوطه و خمته حيث ذكر في هذه الإجازة بعض شيوخه في مصر والحرمين والعلوم التي تلقاها، فمن مشايخه في مكة عمر ابن أحمد وفي المدينة حسن بن محمد سعيد وبمصر محمد الحنفي.[3]

5- مذهب الرحالة ابن عمار

على الرغم من أن ابن عمار كان متحررا في الفكر الجغرافي الذي كان يخيم ظلامه على عهده وعلى الرغم من عقلانيته وكونه من الفقهاء الذين كثيرا ما ذموا

---

[1]- أبوراس الناصري: مصدر سابق، ص 49.

[2]- عبد الجليل شقرون: نحلة اللبيب بأخبار رحلة إلى الحبيب دراسة وتحقيق، رسالة دكتوراه، شعبة الثقافة الشعبية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2016- 2017، ص 65.

[3]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ص 51.

أدعياء التصوف ونعتوهم بشتى الأوصاف كالزندقة والإلحاد إلا أننا مع ذلك وجدناه ينغمس في طرقه مثلما اتبع جل معاصيره إحدى الطرق الصوفية المنتشرة كل بحسب اقتناعه وميله إلى إحداهما لأن ذلك كان عادة العصر وكان يعد "من لا شيخ له فشيخه الشيطان" حيث وجدنا ابن عمار يعتنق "الطريقة الشاذلية"[1] التي كانت منتشرة انتشارا واسعا في ربوع أقطار الإسلام كالمغرب والجزائر وتونس وطرابلس ومصر وغيرها.[2]

فإن من يطلع على مؤلفات أحمد ابن عمار من نثر وشعر تسبقه أشواق هذا الأديب الفقيه وتعلقه بالبقاع المقدسة هو الدافع والموجه الذين دفعه ووجهه إلى ربط كثير من العلاقات الإخوانية والمساجلات الأدبية كما يلاحظ زهده وابتعاده عن الدنيا ومتاعها، فكان يدعو إلى العمل لوجه الله ولنيل رضاه فيقول: "لوجه الله الكريم لا لغرض فان".

كما وجدناه ينهي مقدمة الرحلة بهذين البيتين:[3]

صرف بقايا العمر في طاعة ولا يغرنك كبد الغرور

وارحل إلى الأخرى بزاد التقى فإنما الدنيا متاع الغرور

6- مؤلفاته وآثاره العلمية

ألف ابن عمار عددا من الكتب التي لم تكن تتماشى مع ما كان يكتب علماء وقته من عدم الخروج عن الحواشي والشروح ومن بين هذه الكتب نذكر:

1- لواء النصر في فضلاء العصر وقد ألفه على ما يظهر في الجزائر

2- نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب أتمها على ما يظهر في الحجاز

---

[1]- الطريقة الشاذلية: هي طريقة صوفية تنسب الطريقة الشاذلية: هي طريقة صوفية تنسب إلى أبي الحسن الشاذلي يؤمن أصحابها بجملة الأفكار والمعتقدات الصوفية وإن كانت تختلف عنها في سلوك المريد وطريقة تربيته بالإضافة إلى شعارهم بالذكر المنفرد الله أو مضمر هو علوي بن عبد القادر السقاف: موسوعة القرى، الباب الحادي عشر، الطرق الصوفية، الفصل السادس، الطريقة الشاذلية.

[2]- سميح عاطف الزين: الصوفية في نظر الإسلام، دار الكتاب اللبناني، ط3، بيروت، 1985، ص 545.

[3]- أبي العباس سيدي أحمد بن عمار: مصدر سابق، ص 04.

3- حاشية علي الخفاجي في شرح الشفاء للقاضي عياض ذكرها له تلميذه أبو راس الناصري فتح الاله وقال عنها بأنها عاطرة الانسام .

4- رسالة في تفسير قوله تعالى ﴿**إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ**﴾ [1] حلاها بأدبه المعهود وذكرها له تلميذه السيالة وأبو راس الناصري.

5- تاريخ الباي علي باشا حسن (باي تونس)

6- رسالة في الطريقة الخلواتية نسبها له الكتاني وقال عنها إنها عمل نادر

7- رسالة في مسألة وقف مطبوعة ضمن أجوبة وفتاوي صديقه إسماعيل التميمي

8- رسائل وتقارير وقطع في الوصف ونحوه.

9- ديوان شعر في المدائح النبوية.

10-ثبته المسمى مقاليد الأسانيد.

11-شرح على البخاري ذكره له محمد بن أبي نسب في مقاله الذي تقدم به لمؤتمر المستشرقين الرابع عشر الجزائر 1905م. [2]

المبحث الثاني: دراسة لرحلة نحلة اللبيب في أخبار رحلة إلى الحبيب

أ- التعريف برحلة ابن عمار

أطلق ابن عمار على رحلة اسم نحلة اللبيب في أخبار رحلة إلى الحبيب وهي رحلة حجازية دونها سنة 1166هـ عندما عزم ابن عار على أداء مناسك الحج كما هو مبين في مقدمة الرحلة حيث يقول: "أني عزمت على الرحلة إلى الحجاز عزما نسخت حقيقته المجاز أوائل سنة 1166 هـ ست وستين ومائة وألف وأنا لا أوى من القلق إلى منزل ولا أسكن إلى ألف قد شبت عمر وشوقي على الطوق وحملني على

[1]- سورة المائدة، الآية 29.

[2]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص230.

الحنين إلى الحبيب فوق الطوق والشوق أعظم أن يحيط بوصفه علم وأن يطوي عليه كتاب".[1]

حيث قسمها إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول جعل عنوانه مقدمة حيث جعل من هذا القسم خزانة أدب جمع فيها العديد من القصائد الشعرية النادرة وكانت في 254 صفحة أما القسم الثاني الذي سماه الغرض المقصود والقسم الثالث الذي سماه خاتمة مفقودان ومما يستشهد به في إثبات أن الرحلة إلى أحمد ابن عمار قوله: "وبعد فيقول العبد الفقير المضطر لرحمة ربه المولى القدير مثقل الظهر بالأوزار، عفوه سبحانه أحمد ابن عمار أكفه الله رضاه وأتحفه القرب من مرتضاه كما يعتني الأشواق النافقة الأسواق إلى مشاهدة الآثار والأخذ من الراحة بالثأر وأن أهجر الأهل والوطن...".[2]

ب- محتوى الرحلة

1- وجوب الحج والحذر من تأجيله :

يعد الحج من أفضل الطاعات عند رب العالمين وأجل الأعمال الصالحة لمحو الذنوب، فرض على المسلمين في أوائل سنة تسع من الهجرة، وآية فرضه قوله تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**﴾[3] وقوله صلى الله عليه وسلم: "يا أيها الناس قدر فرض الله عليكم الحج فحجوا، فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم" رواه مسلم، حيث استهل ابن رحلته بوجوبيته أداء فريضة الحج وفضله والحذر من تأخيره مستشهدا بآيات قرآنية وأحاديث نبوية وفيها يقول تعالى: ﴿**إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ (96) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ**

---

[1]- أبي العباس سيدي أحمد ابن عمار: نفسه، ص 10.

[2]- نفسه: ص 2.

[3]- سورة آل عمران: الآية 97.

وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾.[1]

قيل المعنى من لم يحج وعبر عنه بالكفر تغليظا كقوله صلى الله عليه وسلم: "من ترك الصلاة فهو كافر" وقيل أراد اليهود لأنهم لا يحجون وقبل من زعم أن الحج ليس بوجب وقال القاضي ناصر الدين البيضاوي وضع كفر موضع من لـم يحـج تأكيـدا لوجوبه وتغليظا على تاركه وكذلك قال صلى الله عليه وسلم: "من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهوديا أو نصرانيا"، وقد أكد أمر الحج من وجود الدلالة على وجوبه بصـيغة الخبر وإبرازه في الصورة الاسمية وإيراده على وجه يفيد أنه حق واجب لله تعالى في رقاب الناس وتعميم الحكم أولا وتخصيصه ثانيا.

2- وجوب زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم :

تعد زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم من أفضل القربات إلى الله تعالى حيـث يقول: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا**﴾[2]، وبما ينـال المسـلم الشفاعة حيث قال رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم: "من حج فزار قبري بعد مـوتي كان كمن زارني في حياتي"، فبقصد زيارة مسجد النبي وزيارة القبر تأتي تبعـا فهـي مستحبة في حق من زار مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم أو كان قريبا منـه أمـا البعيد فليس له حق شد الرحال إليه وبدون قصد زيارة المسجد.[3]

وقال ابن عمار في هذا الخصوص: "وأعلم أن زيارة قبره صلى الله عليه وسـلم من أعظم القربات وأرقى الطاعات وسبيل إلى أعلى الدرجات، ومن اعتقد غير هذا فقد انخلع من ربقة الإسلام وخالف الله ورسوله وجماعة العلماء الأعلام وقد أطلق بعـض

---

[1]- سورة آل عمران: الآية 96، 97.

[2]- سورة النساء: الآية 64.

[3]- ابن تيمية عن أبي عبد الله ابن بطة: الإبانة الصغرى، فتاوى الشيخ الإسلام تيمية، ج 27، ص 187.

المالكية وهو أبو عمران الفاسي* كما ذكره في المدخل في التهذيب لعبد الحق أنها واجبة وقال لعلمه أراد وجوب السنن المؤكدة وقال القاضي أنما سنة من سنن المسلمين مجمع عليها وفضيلة مرغب فيها..."[1]

3- الاحتفال بالمولد النبوي الشريف في الجزائر :

يعتبر المولد النبوي الشريف من أحد الأعياد التي يحتفل بها بحكم مولد خير الأنام محمد صلى الله عليه وسلم حيث كانت تقام العديد من الاحتفالات و الطقوس سواء بالمنازل أو في المساجد عن طريق إلقاء الخطب التي تخص سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، بدأ الاحتفال به بأخذ طابعه الرسمي والشعبي في المغرب الأوسط بالعاصمة الزيانية تلمسان منذ تولي أبي حمو موسى الثاني العرش الزياني في 760 هـ/ 1359م.[2]

ويذكر حسن الوزان أن الشعراء ينظمون قصائد في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم فيجتمعون في الصباح الباكر من يوم العيد في مساحة المحتسب ويصعدون إلى المنصة التي يجلس عليها ثم يأخذ كل واحد منهم في إنشاء قصيدته أمام جمهور غفير من الناس ومن قضي له منهم بالتفوق في النظم والإرشاد بويع أميرا للشعراء.[3]

---

* أبو عمران الفاسي: هو أبو عمران موسى بن عيسى بن أبي حاج الغفجومي ولد بفاس 356 هـ وتوفي بالقيروان 430 هـ فقيه ومحدث أصول مالكية ترك أثرا كبيرا في تاريخ بلاد المغرب خلال العصر الوسيط تبنى مبادرة إصلاحي والتي توجت بظهور الحركة المرابطة، ينظر: محمد بن محمد مخلوف شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تح: علي عمر، ط1، ج1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2006، ص 255.

[1]- ابن عمار: نفسه، ص 7.

[2]- ابن الحاج النميري: فيض العياب وإفاضة قداح الأدب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، تح: محمد بن شقرون، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ص 68.

[3]- الحسن بن محمد الوزان: وصف افريقيا، تح: محمد حجي ومحمد الأخضر، ج1، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983، ص 260.

أما الكتاتيب القرآنية تحتفل بهذه العادة أن المعلم يدعوا بعض المسمعين لينشـــدوا أمداحا نبوية وينتهي الحفل بمجرد طلوع الفجر ويعطي كل أب شمعة لولده كانت عليها نقوش وزخرفة بالألوان والخطوط الهندسية.[1]

وذكر ستيفن في كتابه الأسرى الأمريكان في الجزائر كيفيـــة الاحتفـــال بالمولـــد النبوي بمدينة الجزائر ابتداءا من تشكيل موكب المدرسين والعلماء وسير جمـــع فـــي الشارع مرددين المدائح الدينية ويحل اثنان على أكتافهم هرما رائعا محلى بأكاليل مـــن الورد وتزيين البيوت بالقماش وشعل المصابيح وتبقى منيـــرة حتـــى منتصـــف الليـــل ويستمر هذا الحفل مدة ثمانية أيام.[2]

وكانت في هذه المناسبة تؤدي الديون على المسجونين الذين عجـــزوا عـــن أداء الديون وعن الأموات كذلك.[3]

كما كانت تكثر في هذه المناسبة الصدقات على الفقـــراء والمســـاكين واليتـــامى وإعداد أطعمة لهم والتوسعة على الأبناء في المآكل وكان بعض الفقهـــاء الميســـورين يحرصون على إقامة الولائم ولا يحبذون صباح هذا اليوم لأنه في نظرهم لا يستقيم فيه الصيام لأنه يوم عيد وسرور والتوسع على العيال بما أمكن من الميسور.[4]

أما ابن حمادوش فقال أن سكان الجزائر يعظمون المولد النبوي الشريف بالذبائح كما يستعملون الطبالين والعياطين وآلات الطرب في السوق.[5]

---

[1]– الحسن بن محمد الوزان: مصر سابق، ص 261.

[2]– ستيفن جيمس ويلس: الأسرى الأمريكان في الجزائر 1785– 1897، تر: علي تابليت، منشورات تالة، الجزائر، 2007، ص 247.

[3]– ابن الحاج النميري: مصدر سابق، ص 117.

[4]– أبي العباس أحمد بن يحي الونشريسي: المعيار المعرب والجامع المغرب، تح: زكرياء عميرات، ج1، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، د ت، ص 279.

[5]– ابن حمادوش: مصدر سابق، ص 84.

ويذكر ابن عمار الاحتفال النبوي في رحلته فيقول: "وهذا قد جرت العادة على بلادنا الجزائر حرسها الله من الفتن وحاطها من الدوائر أنه إذا دخل شهر ربيع الأول انبرى من أدبائها وشعرائها من إليه الإشارة عليه المعول إلى نظم القصائد والمديحيات والموشحات النبوية ويلحنونها على طريق الموسيقى بالألحان العجيبة ويقرعونها بالأصوات المطربة ويصدعون بما في المحافل العظيمة والمجامع المحفوفة بالفضلاء والرؤساء والنظيمة من المساجد والمكاتب والمزارات وهم في أكمل وأجمل زينة وزي وأحسن شارات، تعظيما لهذا الموسم الذي شرف به الإسلام..."[1]

4- شعر المولديات :

ذكر ابن عمار العديد من المولديات التي شكلت حافزا قويا الإثراء شعر المديح النبوي الجزائري في القديم لاسيما في عصر الزيانيين وقد اقتضت الحاجة الدينية والظروف السياسية آنذاك أن يهتم بها للإقتداء بشخص الرسول عليه الصلاة والسلام لأنها نص يعني بذكر مولد النبي وكل ما يتعلق بأخلاقه وما يميز المولديات النبوية عن النص المديحي النبوي بناؤها الفني شكلا ومضمونا.[2]

وقد عرفها لسان الدين الخطيب 776 ه في كتابه نفاضة الجراب في علالة الاقتراب على أنها: المنظومة في مدح رسول الله والإشاعة بميلاده وذكر معجزاته ثم التخلص إلى مدح السلطان وذكر خلاله وإطراء تحفية بهذه الدعوى، وهذا ما يميزها عن المديح النبوي لأنها تعتبر مديحا يلقى ليلة المولد النبوي الشريف وتتضمن مدح النبي ومدح السلطان والشوق والحنين إلى الأراضي المقدسة.[3]

---

[1]- ابن عمار: المرجع السابق، ص ص 15، 16.

[2]- جميلة معتوق: المولديات في المديح النبوي الجزائري القديم وسماتها الفنية، مجلة الرفوف، مجلد السادس، عدد الأول، جامعة أدرار، سبتمبر 2018، ص 194.

[3]- لسان الدين الخطيب: نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، ج3، تح: السعدية فاعية، د ط، د ت، ص 279.

وهذا ما توضحه الأستاذة فاطمة عمراني عن المولديات في أنها تستهل بالحنين إلى الحجاز ثم يتغنى بفضائل الرسول صلى الله عليه وسلم ومعجزته الباهرة وينهي المولدية غالبا بمديح السلطان الذي أقيم الاحتفال النبوي في عهده وقد اعتبر ذلك تقديما بالحب المحمدي والبكاء على الديار المحمدية لا وقوفا على الأطلال وذلك الغزل، ومن أشهر المولديات التي ذكرها ابن عمار، مولدية "تلت المرام" للشيخ أبو العباس سيد أحمد المنجلاتي وقصيدة "هاج الغرام" للشيخ أبو عبد الله محمد ابن محمد الشهير بابن علي.[1]

5- ترجمة الشيخ أبو عبد الله محمد ابن محمد الشهير بابن علي :

نشأ هذا العالم الأديب الشاعر بعاصمة الجزائر وحفظ القرآن العظيم وتعلم الفنون وبرع فيها وعاصر أدباء من بلده كانوا في ذلك الزمان كالشيخ ابن عمار وكانت بينهما مودة خاصة، وقد أثنى عليه هذا الأخير جزيل الثناء بل أطنب فيه وأورد له في رحلته[2]، فقال: ثم جاء مصليا خلفه علم الأعلام اللاعب لسانه بأطراف الكلام سيحان البلاغة وقس البلاغة ومالك أزمة المعاني ومصرف البراعة فارس الأدب المفرد وحاجي ذماره وحارس روضه الأنق ومطلع شموسه وأقماره شيخنا أبو عبد الله محمد ابن محمد الشهير بابن علي أمطر الله ثراه من الرحمة والرضوان بكل وسمي وولي وقد أثبت له هنا ما يرشف رحيقا وينشق مسكا سحيقا ويستروح نسيما ويستلمح محميا وسيما ويسترق عذبا زلالا ويستنطق سحرا حلالا[3]، وهذا الإمام هو خاتمة الشعراء العظام بهذا الصفح ليس لغليل الأدب بهذه نقع وكثرا ما كنت أرتاح إليه رحمه الله كما يرتاح إلي وطالما كان يفرغ من سجال آدابه علي ومضت لي معه مجالس كقطع الرياض تكسي النفس والطبع منها مطارف ارتياح وارتياض وشعره الكثير وهو على

---

[1]- فاطمة عمراني: المدائح النبوية في الشعر الأندلسي، ط1، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، 2011، ص 140.

[2]- نورالدين عبد القادر: صفحات في تاريخ مدينة الجزائر، دار الحضارة، الجزائر، 2006، ص 201.

[3]- ابن عمار: نفسه، ص 33.

كثرته يفوق الدر العظيم والزهر النثير ونثره على جودته قليل فيه غير كليل وله ديوان أشعار تغلو في عكاظ الأدب إذا رخصت الأسعار.[1]

6- استحسان العلماء بمشروعية المولد النبوي الشريف :

يرجع المسلمين الاحتفال بالمولد النبوي الشريف إلى اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بيوم مولده حين كان يصوم يوم الاثنين ويقول: "هذا يوم ولدت فيه" كما وردت نصوص كثيرة لعلماء أهل السنة يجيزون فيها الاحتفال بالمولد النبوي حيث استند عليها ابن عمار في جواز مشروعية الاحتفال بالمولد حيث يقول: "... مستمدين من مفيض العرفان على العقول ما أشرنا إليه سابقا من احتفال أهل بلدنا بموسم مولده صلى الله عليه وسلم واتخاذه عيدا من أعياد الإسلام تشريفا وتعظيما لليوم الذي ظهر فيه نوره عليه الصلاة والسلام فمحى الشرك والظلام ولاحت بولادته صلى الله عليه وسلم للسعادة والفوز أعلام، فهو الذي عليه العمل بالأمصار لهذا العهد وما قبله من الإعصار من الحجاز ومصر والشام والهند وافريقية والمغرب والأندلس الطيب العرار والشام

[1]- ابن عمار ، المرجع السابق، ص 36.

قال شيخ مشايخ شيوخنا العلامة السيد محمد بن رسول البرزنجي المدني الشريف الحسني الموسوي* رحمه الله تعالى في كتابه السراج المنير قد استحسن جماعة من العلماء عمل المولد المشتمل على الخيرات والصدقات وقراءة القرآن الكريم ورواية حالة مولده صلى الله عليه وسلم إذا خلا من المعاصي والمفاسد منهم الإمام الكبير أبو شامة* والإمام ابن الجزري والإمام ابن جماعة..."

7- **ذم البدع** والفضائح خلال المولد النبوي الشريف :

خص ابن عمارة جزء من مؤلف في ذم البدع القبيحة خلال الاحتفال بالمولد النبوي الشريف فقال: "قال الإمام العلامة الشهاب أحمد بن حجر المكي في إتمام النعمة الكبرى: "يجب صون مجالس المواليد ونحوها من القبائح والفضائح والشنائع التي صدرت من الناس مقترنة بعمل المولد ولاسيما بمكة أي المدينة، منها اختلاط النساء بالرجال في المسجد الحرام والمسجد النبوي وتزيينهم بأحسن الحلي والحلل وتطيبهن بأطيب الطيب اختلاطا فاحشا بحيث يقع في تلك الليالي من المفاسد و القبائح ما تصم عنه الآذان".[1]

ويقول الموفق: "يا ليت ذلك ما كان، قال: ومنها نصب الشموع وإيقادها والقمر ومنها في سلطانه، وقد شنع النووي ما يفعله الحجاج ليلة عرفة من الوقود فيها إثم

---

* هو السيد محمد بن رسول بن عبد السيد بن قلندر الحسيني البرزنجي الشهير زوري المدني ولد بالعراق 1040هـ أخذ العلم عن زيرك وشريف الصديقي الكوراني بالعراق فاقت مصنفاته 20 مصنف منها إرشاد الأواه إلى معنى الحديث توفي 1103هـ بالمدينة المنورة، ينظر: محمد بن رسول البرزنجي الحسيني: الإشاعة لأشراط الساعة، تح: حسين محمد علي شكير، ط3، دار المنهاج، بيروت، 2005، ص 13.

* أبو شامة المقدسي هو عبد الرحمان بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان شهاب الدين أبو القاسم، أصله من القدس ولد سنة 596 هـ- 1202م بدمشق وتوفي بها 665 هـ- 1267م، كان فقيها مؤرخا مقرءا نحويا تلا على علم الدين السخاوي وعني بالحديث أشهر مصنفاته الروضتين في أخبار الدولتين الصلاحية والنورية، ينظر: الأعلام للزركلي، ج3، ص 299.

[1]- شهاب الدين أحمد بن حجر التميمي الشافعي: النعمة الكبرى على العالم في مولد سيد ولد آدم، مكتبة الحقيقة، اسطنبول، 2002، ص 111.

تشنيع ولا شك أن ما يجري في ليلة المولد بالحرمين أقبح وأشنع، قال: "وأكثر الناس لا يمنعون النساء من الإشراف والتطلع على الرجال ونظرهن إليهم ذلك قبيح لأنه محرم على معتمد مذهبنا ومكروه على مقابله".[1] إذا لم يكن شهوة ولا فتنة والإحرام اتفاقا والواقع من النساء في المواليد كثيرا ما يترتب عليه الشهوة والفتنة هذا في نظر النساء إلى الرجال وأما نظرهم إليه المترتب غالبا على إشرافهن عليهم نظرهم فحرام على الأصح عندنا.[2]

8- الأعمال الجائزة والمحرمة خلال الاحتفال المولد النبوي الشريف :

حذر ابن عمار في رحلته من الانسياق في الخطأ خلال الاحتفال بالمولد النبوي الشريف وذلك بالابتعاد عن البدع والاختلاط بين الرجال والنساء حيث قال في هذا الخصوص: "ولقد وقع بمكة أن كثير من علماء المذاهب الأربعة قاموا أشد القيام وانتصروا أشد الانتصار في منع النساء من الخروج من بيوتهن إلى المسجد الحرام بالكلية لما اشتهر عنهن من قبائح تصدر عنهن حتى في المسجد، فعارضهم آخرون فصاروا سببا لإغراء الفسقة ومن في قلبه زيغ وهوس إلى نصرة الباطل وإبقاء تلك القبائح كما كانت فزادت وطمت وانتشرت وعمت... قلت وقد وقعت لي بالمدينة نظير ذلك فسعيت في منع الاختلاط بين النساء والرجال في ليالي المولد والمعراج وموسم سيدنا حمزة وموسم الحج فعارضني جميع من العلم في عمامهم دون قلوبهم".[3]

وقال ابن حجر: "ومنها في تلك المواليد يأتون بمن يقرأ لهم المولد على ما ألف لهم الوعاظ في هذه الأزمنة وذلك منكر لأن أكثره كذب وبهتان واختلاف بل لم يزالوا يولدون ما هو أقبح وأسمع بما لا تحل روايته ولا سماعه...

---

[1]- عبد الهادي التازي: رحلة الرحلات مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة، ج1، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مكة المكرمة، 2005، ص 396.

[2]- ابن عمار: المرجع السابق، ص 93.

[3]- ابن عمار: نفسه، ص 94.

لأن قاصدي الخيرات وإظهار الفرح والسرور به صلى الله عليه وسلم يكفيهم أن يجمعوا أهل الصلاح والقرآن والذاكرين فيطعموهم ويتصدقوا عليهم فإن أرادوا زيادة على ذلك أمروا أن ينشد لهم شيئا من المدائح النبوية المتعلقة بالحث على الأخلاق الكريمة مما يحرك الإنسان على فعل الخيرات".[1]

9- سنة السلف في الاحتفال بالمولد النبوي الشريف :

كما ذكرنا سابقا باستحسان العلماء بالاحتفال بالمولد النبوي الشريف وجوازه وذلك لصحة النية وهي شكر الله تعالى على ميلاد النبي وهي من النيات المستحسنة وإظهار محبته صلى الله عليه سلم وتعظيمه وشكر الله تعالى على نعمة الرسالة، حيث قال ابن عمار في هذا الشأن: "وهذا الكلام كله في غاية الوضوح وأنوار الهداية عليه تلوح غير أن ما ذكره عن ابن حجر المكي في إنكاره إيقاد الشموع والقمر لنوره تلألؤ ولموع وهو مما يعني به أهل بلدنا ولا يكاد يخلو منه بيت في تلك الليلة المباركة ويرون ذلك في تمام التعظيم والتبجيل لهذا الموسم الذي سجل شرفه في ديوان الدهر أتم تسجيل مع ما يضاف إلى ذلك من قصد إدخال الفرح والسرور على البنين والعيال في هذه الليلة التي فضلت على سائر الأيام والليالي وهذا أمر لا بأس به إن شاء الله تعالى إذا أحسنت النيات وانطوت على أجمل المقاصد الطويات وقد صرح بإباحته جمع من متأخري فقهائنا كابن عباد و الرصاع* وغيرهما والحاصل أن كل ما يزداد به التعظيم لها من أنواع المباحات التي لم ينهى الشرع عنها كإظهار الزينة والتجمل بالملابس الفاخرة الثمينة وتحسين الهيئة واستعمال الطيب مما يخطب له على منبر

---

[1]- أحمد شهاب الدين ابن حجر الهيتمي المكي: الفتاوى الحديثة، دار المعرفة للطباعة والنشر، د ت، ص ص 149، 150.

* الرصاع: هو محمد بن قاسم الأنصاري أبو عبد الله الرصاع التونسي المالكي قاضي الجماعة بتونس ولد بتلمسان ونشأ واستقر بتونس 831 هـ وتوفي بها وله فيها عقب إلى الآن اقتصر في أواخر أيامه على إمامة جامع الزيتونة والخطابة فيه متصدر الإفتاء وإقراء الفقه والعربية، ينظر: أبي عبد الله محمد بن محمد الأندلسي، الحلل السندسية في الأخبار التونسية، ط4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985، ص 689.

خطيب وكما يذكر العلامة الشامي في سيرته الكبرى أنه جرت عادة كثير من المحبين إذا سمعوا ذكر وصفه صلى الله عليه وسلم أن يقوموا تعظيما له صلى الله عليه وسلم وقال: "وهذا القيام بدعة لا أصل لها".[1]

10- أفضل الأيام والليالي التي خصت بها أمة محمد صلى الله عليه وسلم :

خص الله عز وجل الأمة الإسلامية بخصائص جليلة فكانت خير أمة أخرجت للناس وذلك برسولها الكريم سيد الأنبياء والمرسلين وبدينها الإسلام أحسن الأديان المنزلة فهي أمة مخصوصة ومصطفاة حيث ذكر ابن عمار في رحلته أفضل الأيام كيوم الاثنين والجمعة والليالي كليلة القدر فقال في هذا: "يوم الاثنين فقال: "فيه ولدت وفيه أنزل علي" أخرجه مسلم وفيه طريق وفيه بعثت أو أنزل علي فيه ورويناه في سنن النسائي عن طريق ابن الأحمر وهي الطريق التي انفرد بها المغاربة على حسب ما قررناه في برنامج المرويات وفي كتاب "عجالة المستوفز في ذكر من سمع دون من أجاز بالمغرب والشام والحجاز".[2] وخرجه عن أبي قتادة* هذا عنه فليرجع، قلت: ثبت بهذا الحديث استمرار فضيلة ليلية المولد وصبيحتها فشرفها باق رعي زمنها ثابت إذ لا نزاع في صحة الحديث... فالحاصل في ليلة القدر حاصل فيها مع مزية عدم الاختلاف الموجود في ليلة القدر فإن قلت ليلة القدر اختصت بالأعمال لم توجد في ليلة المولد وذلك يدل على كونها أفضل وأشرف قلت الأعمال التي اختصت بها ليلة القدر وإن كانت شريفة مشرفة إلا أن ما أختمت به ليلة المولد المشرف أهم منها... فإن ليلة

---

[1]- ابن عمار: المرجع السابق، ص 96.

[2]- كتاب عجالة المستوفز في ذكر من سمع من المشايخ دون من أجاز من أئمة المغرب والشام والحجاز للعلامة الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر محمد بن مرزوق التلمساني.

* أبو قتادة الحارث بن ربيعي الأنصاري توفي 54 هـ صحابي من الأنصار من بين سلمة من الخزرج شهد مع النبي محمد المشاهد كلها بعده غزوة بدر ثم شارك في الفتح الإسلامي لفارس وصاحب علي بن أبي طالب في معاركه وقت الفتنة توفي في المدنية المنورة، ينظر: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج2، ص 449.

القدر أنزل فيها القرآن إلى سماء الدنيا ونجم نزوله بعد على النبي صلى الله عليه وسلم يجب الواقع وتقرير الأحكام وهو معنى قوله تعالى:﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِـي لَيْلَـةِ الْقَـدْرِ**﴾[1]، فوجب تفضيلها على غيرها.

11- ذكر القصيدة الشقراطسية :

القصيدة الشقراطسية في مدح خير البرية لأبو عبد الله محمد بن أبي بكـر بـن يحي بن علي الشقراطسي وهي قصيدة لامية من بحر الوسيط في مدح الرسول صـلى الله عليه وسلم استعرض فيها وقائع السيرة النبوية وحياة إلى الدعوة الإسـلامية منـذ ايلاج فجرها إلى أن عمت أقطار المعمورة وذلك بأسلوب شعري جميـل يجمـع بـين التقرير والتخيل والتصوير والتسجيل بما يتجاوز حد الوصف وآياتها في فتح مكة أكثر من رائعة ومجموع آياتها مائة وثلاثة وثلاثون بيتا.[2]

وقال فيها ابن عمار أنها من القصائد العظام، البديعة النظـام الرائعـة المعـاني الوثيقة المباني وهي من الطراز الأول وعليها في هذا الباب المعـول وقـد رأيـت أن اثباتها هنا برمتها لانقياد البلاغة في أزمتها ولكونها فتحت الافتتان أبوابا وأحكمت مـن نسج البديع أثوابا وطار صيتها في الآفاق وانعقد على بركتها الإجماع والاتفاق فـرحم الله ناظمها وأثابه على حسن هذا البديع وبوأه من أعالي الفردوس من المحـل المنيـع بمنه ويمنه وهذا أبيات منها.[3]

الحمد لله منابا عن الرسـل ... عدى بأحمد منا أحمـد السبـل

خير البرية من بدو ومن حضر ... وأكرم الخلق من حـاف ومنتعل

توراة موسى أتت عنه فصدقها ... انجيل عيسى صدق غير مفتـعل

---

[1]- سورة القدر، الآية 01.

[2]- محمد العبدوي البلنسي: الرحلة المغربية، تقديم بوفلاقة سعد، منشورات بونة للبحوث والدراسات، بونة، الجزائر، 2007، ص 76.

[3]- ابن عمار: نفسه، ص 117.

أخبار أهل الكتب قـــد وردت كما رأوا ورووا في الأعصر الأولى

12- الاحتفال بالمولد النبوي الشريف في القصر الزياني :

كانت دولة بني زيان مساهمة بصورة واضحة وقوية في الاحتفال بمولد المصطفى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تحت رعاية سلاطينها وبمساهمة العامة والخاصة وشعراء البلاط وكذا أدباء الأمصار الأخرى الوافدين على السلطان مختلفين في طرق الاحتفال بذكرى مولده صلى الله عليه وسلم[1]، فكانت ليلة ميلاده صلى الله عليه وسلم من أعياد سلاطين الدولة الزيانية وما زادها أهمية ملكها أبو حمو موسى الزياني* من فحول الشعراء، فقد اكتسى الاحتفال في عهده حلة جميلة وطابعا شعبيا ورسميا منذ توليه العرش الزياني سنة 760 ه فوصف ابن عمار ليلة المولد النبوي في القصر الزياني فقال: "قال صاحب راح الأرواح وكان السلطان أبو حمو يقيم ليلية الميلاد النبوي على صاحبه الصلاة والسلام بمشورة من تلمسان الحروسة مدعاة حفلية يحسر فيها الناس خاصة وعامة، فما شئت من نمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة وبسط موشاة ووسائد بالذهب مغشاة وشمع كالأسطوانات وموائد كالهالات مباخر صفر منصوبة كالقباب يخالها المبصرون من بئر يفاض على الجميع أنواع الأطعمة كأنها أزهار الربيع المنمنمة فتشتهيها الأنفس وتستلذها النواظر ويخالط حسن رياها الأرواح ويخامر رتب الناس فيها على مراتبهم ترتيب احتفال وقد علت الجميع أبهة الوقار والإجلال ويعقب ذلك يحتفل المسمعون بأمداح المصطفى عليه الصلاة والسلام ومكفرات ترغب في الإقلاع عن الآثام".[2]

---

[1]- محمد شلتوت: من توجيهات الإسلام، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، مصر، 1980، ص 429.

* هو أبو موسى بن أبي يعقوب بن عبد الرحمان بن يحي بن يمغراسن، المعروف بأبي حمو موسى الثاني من ملوك بني زيان ولد بالأندلس سنة 723 هـ، عينه أبوه حاكما على سجلماسة وأصبح واليا على تلمسان، ينظر: عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى الثاني حياته وآثاره، ص ص 69، 71.

[2]- ابن عمار: نفسه، ص 129.

13- **في ذكر الشريف التلمساني :**

خص ابن عمار العلامة الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي الشريف الإدريسي التلمساني* بترجمة وافية ذكر أقوال العلماء فيه فقال: "وفي دولته كان الإمام المتقن البحر الحبر شريف العلاء وعالم الشرفاء أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن يحى بن محمد بن القاسم بن حمود من سبط ادريس بن ادريس فكان له مخبأ ومعظما وبه حفيا وكان وحيد عصره دينا وعلما ونقلا وعقلا، انتفع الناس به حيا وبتصانيفه ميتا فكان يوجهه للرسائل في الأمور المهمة وليتمس بركات بيته الشريف في كشف الخطوب[1] المدلهمة وله بنى مدرسته الكريمة حين توفي والده أبو يعقوب بالجزائر في شعبان سنة ثلاث وستين وسبعمائة وسيق إلى تلمسان ودفن بباب إيلان ثم نقل إلى جوار أخويه السلطان أبي سعيد وأبي ثابت فلما كملت المدرسة نقلوا ثلاثتهم إليها واحتفل بها وأكثر عليها من الأوقاف ورتب فيها الجرايات وقدم للتدريس بها الشريف أبا عبد الله المذكور وحضر مجلس أقرائه فيها جالسا على الحصير تواضعا للعلم وأكراما له، فلما انقض المجلس أشهد بتلك الأوقاف وكسا طلبتها كلهم وأطعم الناس وطول الله مدته حتى ختم السيد الشريف المذكور تفسير القرآن العظيم فيها، فاحتفل أيضا لحضور ذلك الختم وأطعم فيه الناس كان موسما عظيما.[2]

والشريف أبو عبد الله هذا من رجال الكمال عرف به غير واحد منهم تلميذه الفقيه الكاتب أبو زكرياء ابن خلدون في نجمة الرواد[3] وقال فيها: "وشيخها الفقيه العالم

---

* هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي الشريف الإدريسي التلمساني هو الوالي الأصولي وعلامة بلاد المغرب في زمنه من أعلى القرن الثامن هجري ولد سنة 710هـ- 1310 م، بقرية العلو بين إحدى قرى تلمسان، ينظر: عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص 139.

[1]- ابن عمار: المرجع السابق، ص 166.

[2]- نفسه: ص 167.

[3]- نجمة الرواد في أخبار بن عبد الواد وأيام أبي حمو الشامخة الأطواد، من أهم الأعمال الكبير يحي ابن وصف فيه الأحداث المتعلقة بسلالة بني عبد الواد ما بين 1236 – 1374م.

الأعرف أبو عبد الله محمد بن أحمد الشريف الحسني أحد رجال الكمال علما ودينا لا يغرب عن علمه فن عقلي إلا وقد أحاط به أخذ عن الشيخين أبي زيد وأبي موسى* ابني الإمام وعن شيخنا أبي عبد الله الأبلى وغيرهم وبلغ الغاية القصوى من الإدراك والتبحر وفصاحة اللسان عند الإلقاء واحد عصره رحمه الله توفي في ذي الحجة متم سنة إحدى وسبعين مائة فأمر مولانا أمير المسلمين أبو حمو أيده الله بدفنه عند قبر والده المولى أبي يعقوب تبركا له بجواره.

وقال الشيخ أبو العباس سيدي أحمد بابا السوداني في كفاية المحتاج له ما نصه: هو الإمام العلامة الأوحد أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن محمد بن القاسم بن حمود بن ميمون بن علي بن عبد الله بن عمر بن إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم هكذا وجد بخط عبد الله ولده الشريف التلمساني علامة بل إمام المغرب قاطبة.

وقال ابن مرزوق الحفيد شيخ شيوخنا أعلم أهل عصره بإجماع وقال السراج هو أحد رجال الكمال خلقا وخلقا، بلغ رتبة الاجتهاد أو كاد بل هو أوحد العلماء الراسخين وآخر الأئمة المجتهدين.[1]

14- الشخصية الأدبية لأبي حمو موسى الثاني :

ورجع إلى أخبار السلطان أبي حمو رحمه الله تعالى وكان يقرض الشعر ويحب أهله وله رحمه الله تعالى تأليف حسن في السياسة لخص فيه سلوان المطاع[2] لابن ظفر

---

* إبنا الغمام التنسي البرشكي وأكبر أبو زيد عبد الرحمان بن محمد بن عبد الله عرف هو وأخوه أبو موسى عيسى بإبني الإمام البرشكي اشتهروا بالرسوخ في العمل والاجتهاد شرقا وغربا وكانا على جانب كبير من التقوى والاستقامة، ينظر: معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، ص 128.

[1]- ابن عمار: نفسه، ص 168.

[2]- سلوان المطاع في عدوان الأتباع المؤلفة أبي عبد الله بن ظفر الصقلي "ت 568" من المؤلفات العربية التي تميزت بخصوصية تأليفها وغنى مادتها، فهو يعمل على بناء سنواته الخمس في موضوعات، التفويض والتأسي والصبر والرضا.

وزاد عليه فوائد وأورد فيه جملة من نظمه وأمور أجرت له مع معاصريه من ملـــوك بني مرين وغيرهم وصنفه برسم ولي عهده ولده أبي تشفين وسماه نظم الســـلوك فـــي سياسة الملوك وكان رحمه الله جوادا سمحا وكثيرا ما كان أعلى الأندلس يستمد فيمدهم قال أبو زكرياء ابن خلدون في هذه السنة يعني سنة ثلاث وستين وسبع مائة وصل إلى الباب العالي الفقيه الكاتب إبراهيم بن الحاج رسولا من الأنـــدلس يطلـــب مـــن أميـــر المسلمين أيده الله أرفاد المسلمين بالأندلس وإعانتهم على مجاورة عـــدو الله ورســـوله حسبما جرت عادته بذلك فوجه إليهم معه خمسين ألف قدح من الزرع وثلاث آلاف من الذهب للكراء عليه البحر وكتب في هذا لسان الدين ابن الخطيب أبياتا يخاطـــب بهـــا السلطان أبا حمو ويشكره على ما أعان به أهل تلمسان.[1]

15- الأمير عبد الرحمان أبو تاشفين :

رجع إلى أخبار السلطان أبي حمو رحمه الله تعالى وفي أواخر جمـــادى الأولـــى سنة أربع وسبعين وسبعمائة عهد إلي أكبر أولاده أبي تاشفين عبد الرحمان* وأشـــركه معه في السيف والقلم والعلم وكان علماء من الأعلام الذي يقصر عن تحليتهم الكـــلام وقال الفقيه أبو زكرياء ابن خلدون رحمه الله تعالى في ترجمة ما نصه الأمير المعظـــم أبو تاشفين علم الكمال وروض الجمال المقصور وأسد الحـــروب العصـــور وشـــرف الحجافل والقصور سبط الرسالة وبدر هذه الحالة ومظهر العلاء والجلالة كثر المحتاج وليث الثرى المهتاج وأمير العرب والعجم والعمامة لدة التاج، أي فضل مبـــين وعـــز وضاح الجبين ونفر موروث ومكسوب ومجد إلى إمارته الفضلى منسوب.[2]

---

[1]- ابن عمار: المرجع السابق، ص 170.

* أبي تاشفين عبد الرحمان: أبو تاشفين الثاني ابن أبي حمو 791هـ -1393/1351م تاسع ملوك الدولة الزيانية تولى الحكم بعد مقتل أبيه 1369م واستمر إلى غاية وفاته 1393م وخلفه ابنه يوسف أبو ثابت، ينظر: محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، ج7، العهد المملوكي، الكتب الإسلامي، ص 284.

[2]- ابن عمار: نفسه، ص 192.

فيا الله من شمائل فضعت الخمائل وضرائب، أبدت الضرائب ومواهب أخجلت السجائب وشجاعة عودت الضراعة ورياسة أعملت العالم السياسة إلى الشرف والآباء والبرور بالآباء والعفاف والطاعة والآداب غير المطاعة نشأ عزه الله كريما ودرج عظيما وشب عليها حكيما لا يعرف إلا نور الله سراجا.

ولا ينفذ سوى مرضات الله ومرضات الرسول منهاجا، فعمر بمرضات أبيه مولانا أمير المسلمين أبي حمو أيده الله يومه وساعته.[1]

16- استشهاد أبي حمو موسى الزياني :

ثم جرت الساعيات بين أمير المسلمين أبي حمو وبين ولي عهده الأمير أبي تاشفين بأمور يسمح ذكرها فرجا إطفاء تلك النائرة بان نفسه لولي عهده وتوجيه إلى المشرق في البحر مظهرا للحج فلما نزل بجاية عاد متوجها إلى تلمسان مستجيشا كل من ببلاده المشرقية من العرب وزناته فقر المولى أبو تاشفين أمامه خائفا عاديته فلحق بفاس فاستجاش بني مرين فبعث معه السلطان أبو العباس ابن السلطان أبي سالم المريني زيان بن عمر الوطاسي بجيوش عظيمة وجاءوا متوجهين إلى تلمسان فلما وصل خبرهم خرج المولى أبو حمو إلى لقائهم بمن معه غير مكترث فلقيهم بجبل بني ورسد فاقتتلوا قتلا شديدا فاتفق أن كبار الفرس بالمولى أبي حمو فاستشهد رحمه الله عليه غرة ذي الحجة سنة إحدى وتسعين وسبعمائة فياله من موقف هائل.[2]

17- مدح السلطان أبو تاشفين :

ويقول الرحالة أبي العباس أحمد ابن عمار في مدح أبو تاشفين بعد مبايعته واعتلائه عرش الملك مايلي: "ثم بويع الملك الكامل الأسد الباسل أشمخ الملوك أنفا وأعلاهم وأحقهم بالتقدم وأولاهم وأظهرهم وأقواهم وأفادهم وأرجحهم رأيا، وأنجحهم

[1]- ابن عمار :المرجع السابق ،ص 194.

[2]- نفسه، ص 194.

سعيا وأصدقهم قولا وأوسعهم طولا ذو الحكم العدل والفضل الشامل والثنـــاء الطيـــب والفضل والسياسة الشاملة والسعادة الكاملة.[1]

الذي لم ينزل في معراج العلى يسمو مولانا أبو تاشفين ابن مولانا ابن حمو فسما أمره وعلا قدره وعلا ذكره وشمل الرعية غيره واتسعت مملكته في الأقطـــار وطـــار الثناء عليه وكان أعلى الله مقامه بكر أبيه الحظي لديه علقه النفيس العزيز عليه وبـــدر هالة حضرته والنوارة الفضة من دوحته يوليه محاربة الأعداء فيلبسهم أرية الرحـــى، فلما تملك كان عين الفضل والجود والكرم ومعدن الصرامة وعلق القدر ورفعة الهمـــم وكان يحتفل ليلة مولد المصطفى صلى الله عليه وسلم أعظم الاحتفال بنسيج أبيـــه فـــي ذلك المنوال ويرفع إليه من المصادح الغراء الدجال ما يزرع بأمـــداح ســـيف الدولـــة وشمس المعال ويثيب عليها من عظيم النوال، بما لم يسمع مثله في سالف الأحوال ومن أبدعها ما رفعه إلى حضرته أبو عبد الله محمد بن يوسف القيسي الثغـــري* فـــي أول مولد أقامه صدر تملكه مادحا له ولوالده ومعزيا له به في إحدى قصائده.[2]

18- **التغني بالطبيعة :**

تعد الطبيعة صالحة كل الصلاحية لأن تكون موضوعا شعريا أو نثريـــا فـــبعض الشعراء قد بنوا شهرتهم على التفنن في شعر الطبيعة كبعض شعراء الأندلس وباعتبار الطبيعة موضوع مشترك يستهدفه الكثير من الشعراء بالوصف غير أن الاختلاف فـــي التناول وهو ما يميز كل شاعر وأديب.[3]

---

[1]- ابن عمار :المرجع السابق، ص 195.

* أبو عبد الله محمد بن يوسف القيسي الثغري، شاعر وأديب وكاتب من أهل تلمسان ومن أشهر شعرائها وبلغائها المقدمين لدى سلاطينها وصف بالعلامة الناظم النافر كان من شعراء بلاط السلطان أبي حمو الثاني له قصائد كثيرة نقل بعضها ابن خلدون في "بغية الرواد" والمقري في أزهار الرياض، ينظر: الدراجي بوزيان: أدباء وشعراء من تلمسان، دار الأمل، 2011، ص 166.

[2]- ابن عمار، المرجع السابق: ص 196.

[3]- أحمد أمين: النقد العربي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعة، الرغاية، الجزائر، 1992، ص 111.

حيث ذكر ابن عمار الكثير من الأبيات الشعرية للعديد من الشعراء الذين تغنوا بأنواع الزهور منها النرجس والياسمين فقال: "وحكى الشيخ أبو البركات هبة الله بن محمد النصيبي المعروف بالوكيل وكان شيخا ظريفا فيه آداب كثيرة.[1]

قال: كنت في زمن الربيع والورد في داري بنصبين وقد أحضر البستاني الورد والياسمين شيء كثير وعملت على سبيل الولع دائرة من الورد تقابلها دائرة من الياسمين فاتفق أن دخل شاعران كانا بنصبين، أحدهما يعرف بالمهذب والآخر بابن الحسن البرقعيدي فقلت لهما اعملا في هاتين الدائرتين شيئا. ففكروا ساعة ثم قال المهذب: [2]

يا حسنها دائرة — من ياسمين مشرق

والورد قد قابلها — في حلة من شفق

كعاشق وحبه — تغامزا بالحدق

فاحمرت ذا من خجل — واصفرت ذا من فرق

وقال ابن الحسن:

يا حسنها دائرة — من ياسمين كالحلي

والورد قابلها — في حلة من خجل

كعاشق وحبه — تغامزا بالمقل

فاحمر ذا من خجل — واصفر ذا من وجل

وحكى أنه كما رحل أبو الحسن بن سعيد من الأندلس إلى المشرق وخل الديار المصرية استدعاه سيف الدين بن سابق إلى مجلس بضفة النيل مبسوطة بالورد وقد قامت حوله شامات نرجس فقال في ذلك:

---

[1]– أحمد أمين المرجع السابق، ص 240.

[2]– أحمد بن محمد المقري التلمساني: الطيب من غضن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، ج3، دار صادر، بيروت، لبنان، 1968، ص 353.

من فضل النرجس فهو الذي يرضى بحكم الورد إذ يرأس

أما ترى الورد غدا قاعـــدا وقام في خدمته النرجـــــس.

المبحث الثالث: الأهمية العلمية لرحلة ابن عمار

يقول أبو راس الناصري في وصفه لرحلة ابن عمار أنه صاحب الرحلة الجمـــة الفوائد حلوة الموائد عذبة الموارد الجليلة القدر المستودع لما يفوت الحصر[1].

بالرغم من غموض عبارات أبي راس الناصري فإنها لا تدع مجـــالا للشـــك فـــي أن للرحلة أهمية كبيرة عند الأدباء وأصحاب الأخبار، فبرغبته فـــي أداء فريضـــة الحـــج وزيارة الأماكن المقدسة وارتياد مراكز العلم في المشرق بعدما تجـــاوز ســـن الطلـــب ووصل إلى سن التأهل بمجالسة كبار العلماء للأخذ والعطاء وبهـــذا أثريـــت الناحيـــة العلمية بفضل هذا التبادل العلمي القائم على الانتقاء بكبار العلماء للأخذ والرواية عنهم والحصول على ايجازاتهم العلمية وبهذا أصبح الرحالة رسل علم ومعرفة وحلقة اتصال وتبادل فكري وعلمي بين المشرق والمغرب كما انتصب حرص الرحالة ابـــن عمـــار على إظهار الجوانب الحسنة للمجتمع الحجازي والجزائري وانتقاد السيء منها [2] .

وعليه فإن دور ابن عمار أكبر بكثر مما قيل فيه وهذا لضياع آثاره التي مـــاتزال موزعة بين مكتبات الجزائر وتونس والقاهرة والحرمين الشريفين التـــي أطـــال فيهـــا الإقامة فهو بشهادة معاصريه مثالا للاستقامة والتواضع والأخـــلاق الكريمـــة فتـــرك التآليف المكتنزة بمختلف العلوم الأدبية والدينية والتاريخية كما ترك الطلبة فـــي كـــل البلدان التي حل بها وهذا ما شهد به تلميذه أبو راس الناصري حيث مدحـــه بتخـــريج الأسانيد والتلاميذ والفقهاء التحارير والعلماء الجماهير فكان موســـوعيا ميزتـــه الأدب أسبل الله عليه ما يعطر أرحانه وأحله من رياض الفردوس حيطانه[3]

---

[1]– أبو راص الناصري، المصدر السابق، ص48.

[2]– عواطف محمد يوسف نواب، الرحلات المغربية والأندلسية، مكتبة الملك فهد د،ط، الرياض، 1996، ص93.

[3]– أبو راص الناصري، المصدر السابق، ص49.

الخاتمة

الخـــــاتمة

لقد حاولنا من خلال هذا البحث أن نقدم دراسة حول الــرحلات الحجازيــة فــي الجزائر العثمانية وكان من نتائج هذا البحث ما يلي:

– تعتبر الرحلة إحدى الركائز الأساسية في بناء الحضارة الإنسانية فلولاها مــا كنــا نسمع عن ابن بطوطة وابن خلدون مثلا فهي تعد مصدر ممن في حيــاة المؤلــف وإن ضاعت مؤلفاته فهي مرآة أسفاره.

– إن نمط كتب الرحلات فن قائم بذاته زاخر بالكثير من المعلومات فأهميتها تتجلى بما تحويه من مادة علمية عن تلك النواحي مكتوبة بأسلوب منسق خالي من الأســاطير إلا ما ندر والمعتمد على المشاهدة والسلام في ملاحظة مختلف المظاهر ومن ثم تدوينها.

– كان التعليم في الجزائر العثمانية منتشرا وبعيد عن سيطرة الدولة فكان يمــول مــن طرف المؤسسات الوقفية.

– كان الإنتاج الثقافي في الجزائر قليل بالمقارنة بالإنتاج المغاربي وهذا راجع إلى عدم عودة الكثير من العلماء الجزائريين إلى أرض الوطن ليدونوا ملاحظاتهم ورحلاتهم.

– كانت الرحلة في الجزائر العثمانية تتم إما برا أو بحرا بتنظيم محكم قبــل الخــروج (تنظيم بشري ومادي – الاستعداد لمواجهة الكثير من الصعوبات والمخاطر التي تواجه الركب أو الرحالة سواءا الأمن على النفس والزاد أو خطورة المسالك وقساوة الطبيعة)

– الهدف الأساسي للرحلة الحجازية هو الرغبة في تأدية مناسك الحــج وزيــارة قبــر الرسول صلى الله عليه وسلم وبهذا أخذت تسميتها بالرحلة الحجازية.

– تعتبر رحلة ابن عمار نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب وثيقة تاريخية هامة في دراسة الحركة الأدبية والفكرية والثقافية والدينية إبان العصر العثماني حيث أورد فيها أشعارا عديدة تصف شوقه إلى البقاع المقدسة كما أنه ذكر بعض عادات أهل الجزائــر وتقاليدهم وذكر بعض المساوئ التي قامت بالحجاز خلال الاحتفــال بــذكرى المولــد

النبوي الشريف وهو من أبرز المؤلفين الذين كتبوا في فن المولوديات وعلى القصر الزياني.

وفي الأخير نأمل أن نكون قد وفقنا بهذه الرسالة ونسأل الله السداد والرشاد والتوفيق.

الملاحق

الملحق رقم 01: خريطة توضح مسلك ركب الحج [1]

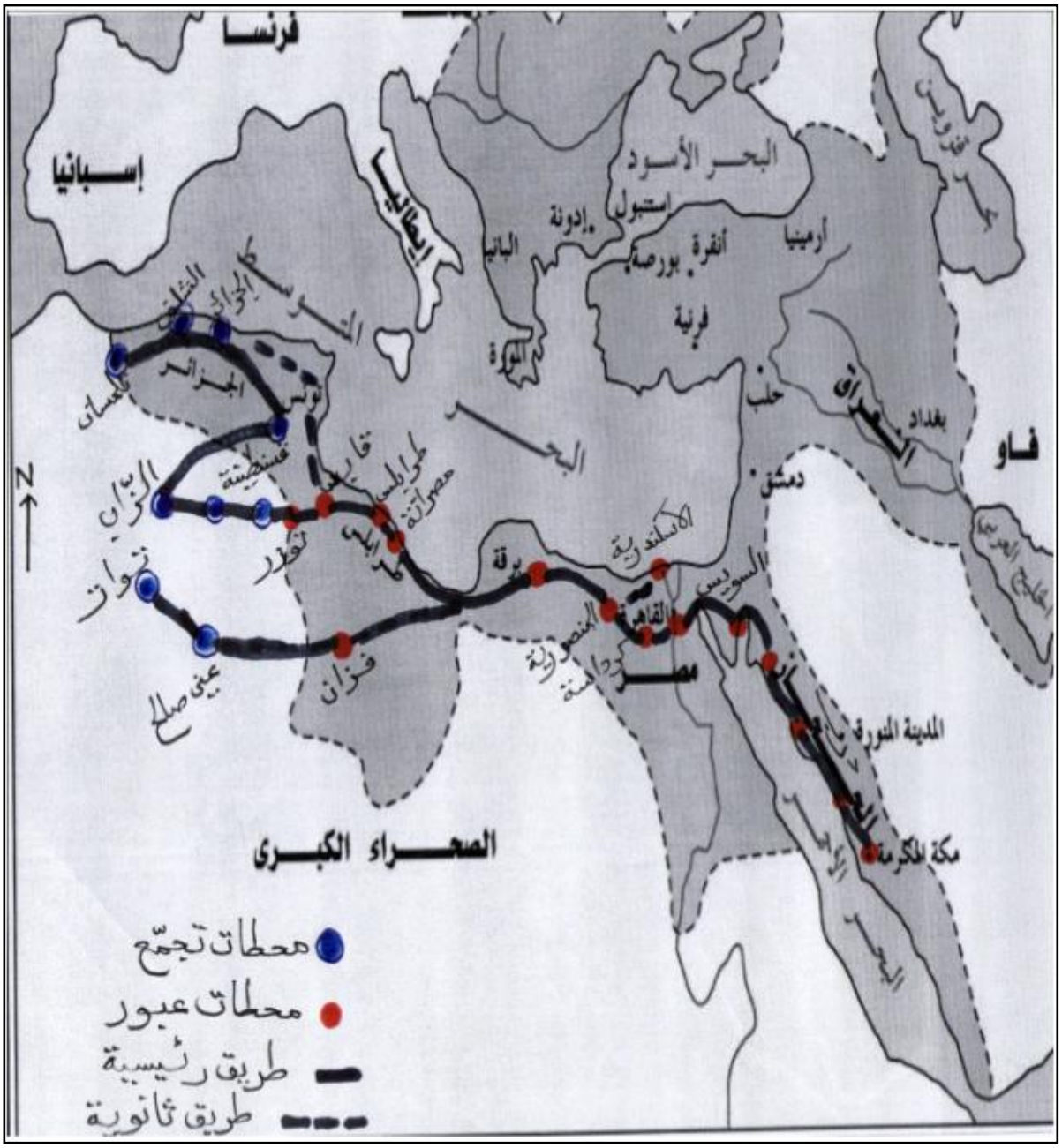

[1]– أحمد بوسعيد، ركب الحج الجزائري خلال العهد العثماني 1518–1830م، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة أحمد دراية، أدرار، 2017–2018،ص274.

الملحق رقم 02: صفحة من مخطوط الرحلة الورتيلانية [1]

[1]- أحمد بوسعيد، المرجع السابق، ص297.

الملحق رقم 03: صفحة من مخطوط رحلة المجاجي [1]

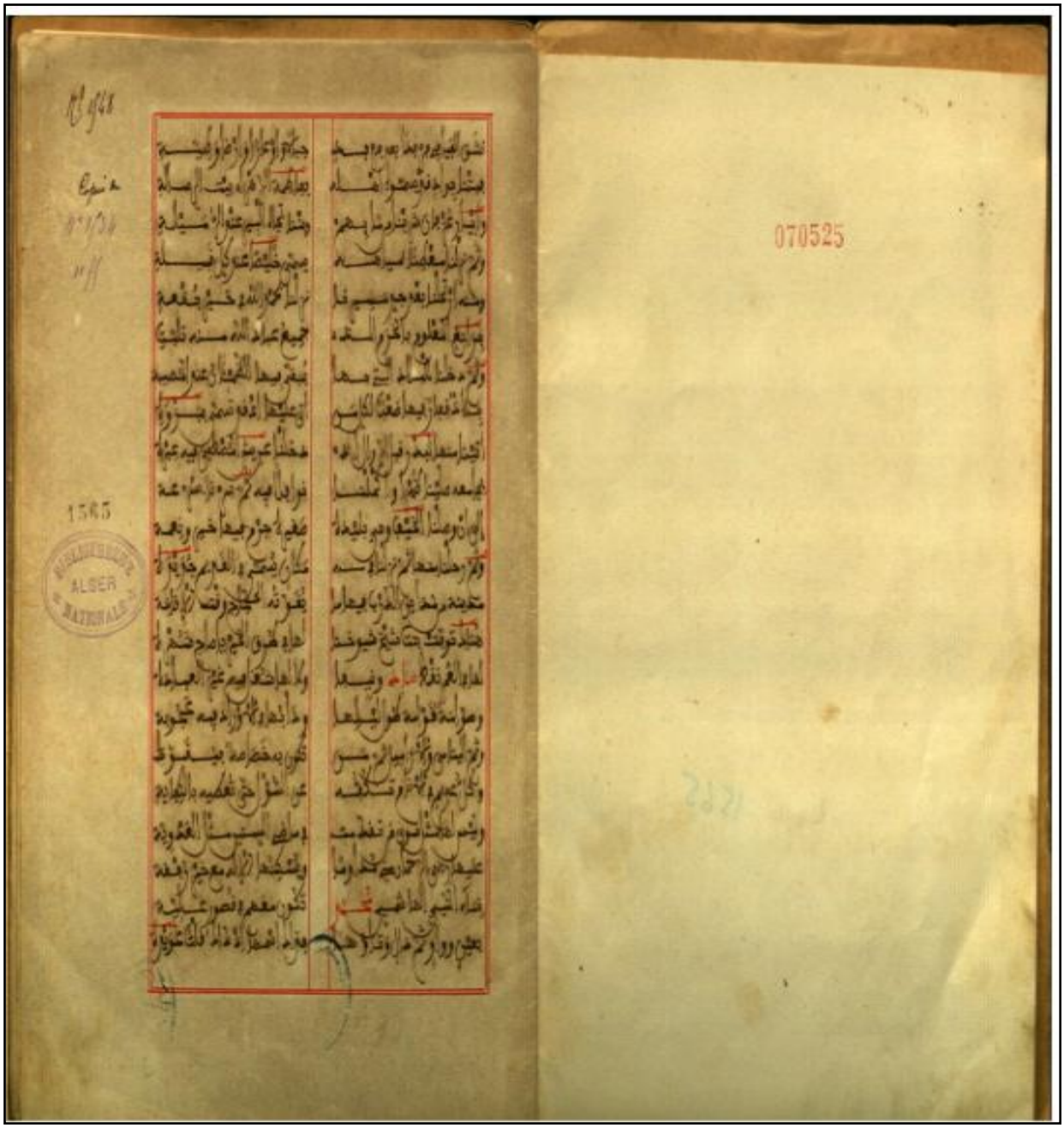

[1]– أحمد بوسعيد، المرجع السابق، ص297.

الملحق رقم 04: مقدمة مخطوط رحلة ابن عمار [1]

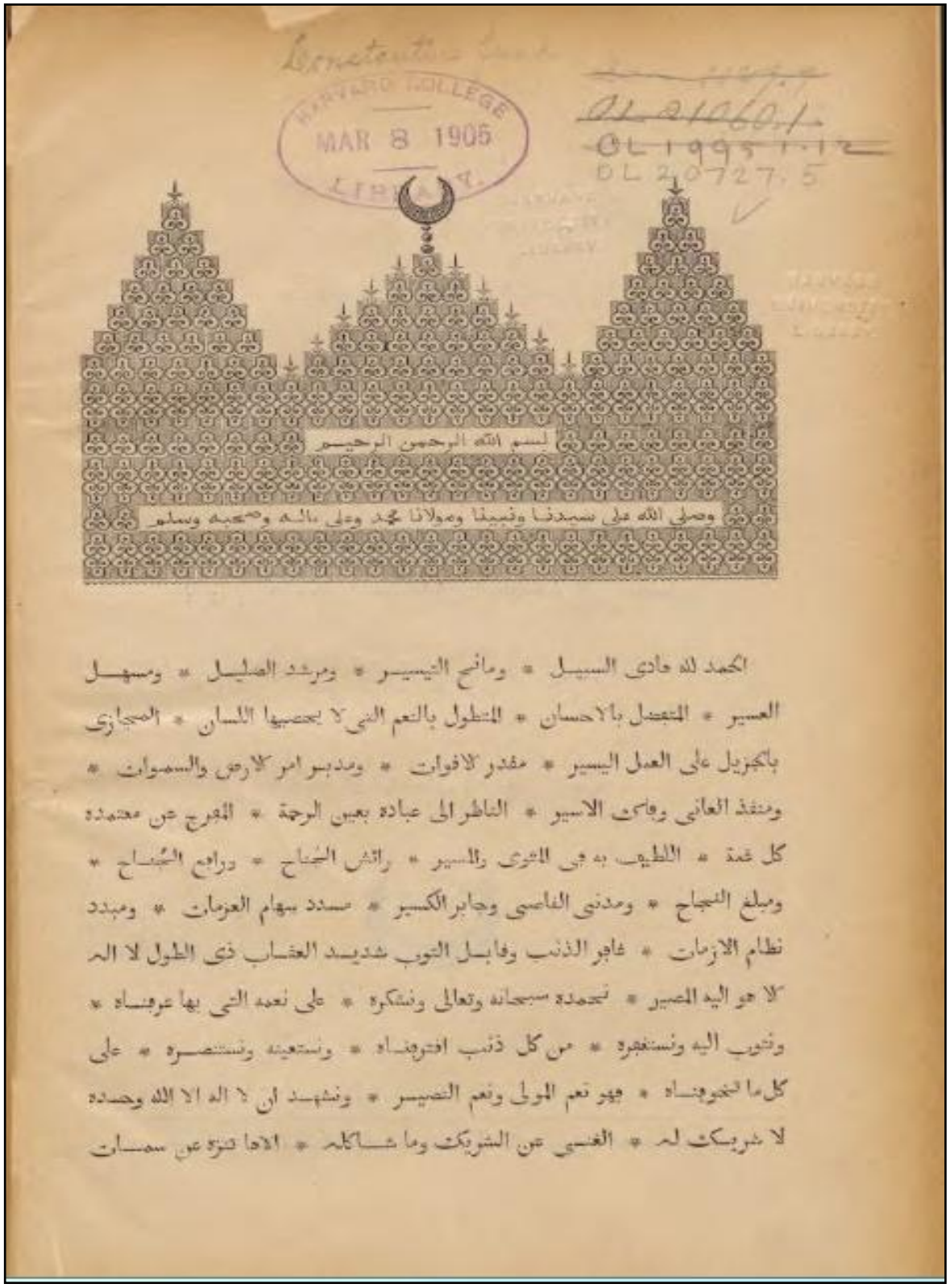

الحمد لله هادي السبيل * ومانح التيسير * ومرشد الضليل * ومسهل العسير * المتفضل بالاحسان * المتطول بالنعم التي لا يحصيها اللسان * المجازي بالجزيل على العمل اليسير * مقدر الاقوات * ومدبر امر الارض والسموات * ومنفذ المقادير وفاك الاسير * الناظر الى عباده بعين الرحمة * المفرج عن معتمده كل غمة * اللطيف به في المثوى والمسير * رائش الجناح * وراقع الجناح * ومبلغ النجاح * ومدني الفاصي وجابر الكسير * مسدد سهام العزمات * ومبدد نظام الازمات * غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا اله الا هو اليه المصير * نحمده سبحانه وتعالى ونشكره * على نعمه التي بها عرفناه * ونتوب اليه ونستغفره * من كل ذنب اقترفناه * ونستعينه ونستنصره * على كل ما اخوفناه * فهو نعم المولى ونعم النصير * ونشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له * الغني عن الشريك وما شاكله * الاها تنزه عن سمات

[1] – ابن عمار، المصدر السابق، ص5.

الملحق رقم 05: صفحة من مخطوط رحلة ابن عمار [1]

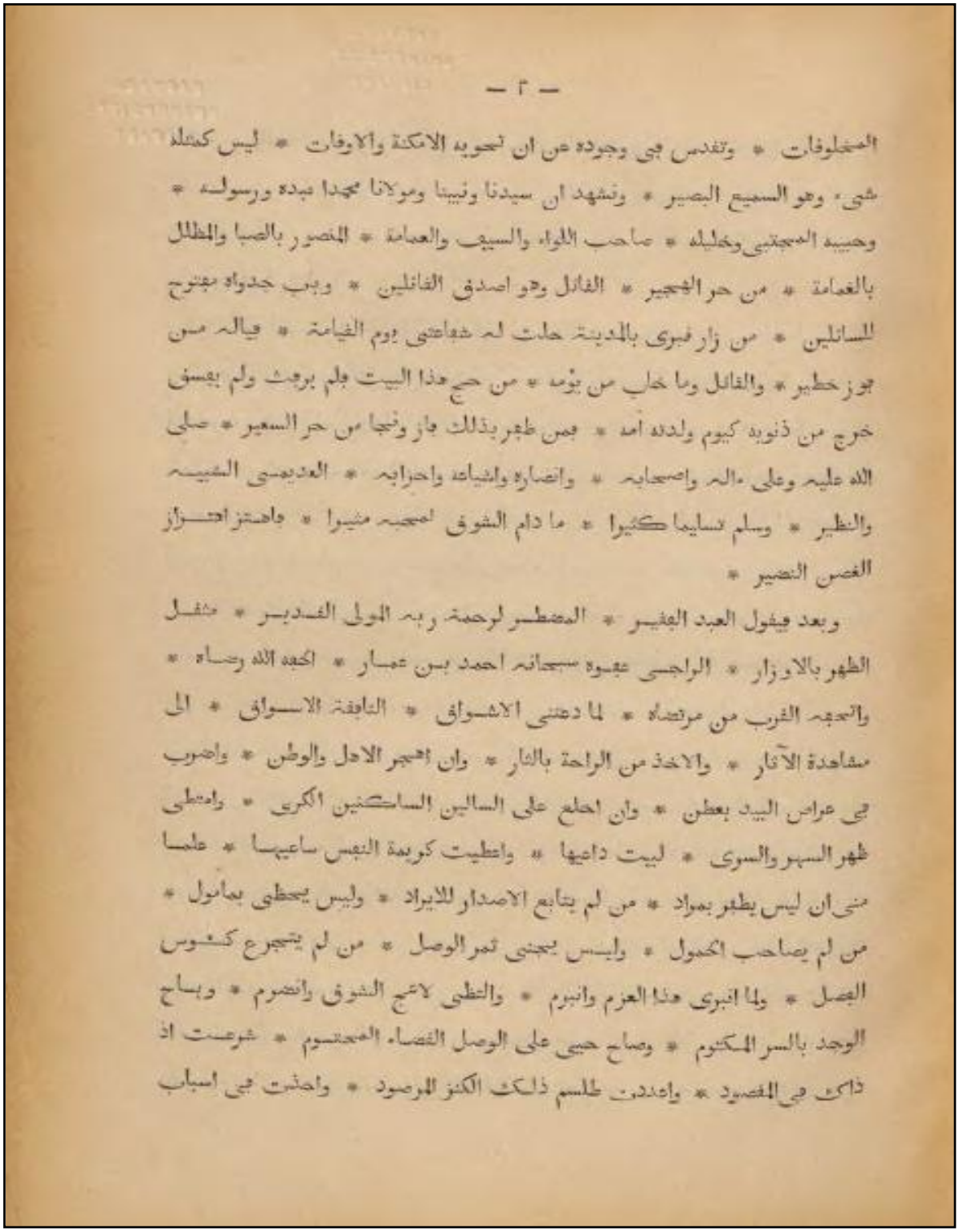

— ٣ —

المخلوقات * وتقدس في وجوده عن ان تحويه الامكنة والاوقات * ليس كمثله شيء وهو السميع البصير * ونشهد ان سيدنا ونبينا ومولانا محمدا عبده ورسوله * وحبيبه المجتبى وخليله * صاحب اللواء والسيف والعمامة * المنصور بالصبا والمظلل بالغمامة * من حر الهجير * القائل وهو اصدق القائلين * وبيت جدواه مفتوح للسائلين * من زار قبري بالمدينة حلت له شفاعتي يوم القيامة * فياله من فوز خطير * والقائل وما خاب من بؤمه * من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه * فمن ظفر بذلك فاز وفاز من حر السعير * صلى الله عليه وعلى اله واصحابه * وانصاره واشياعه واحزابه * العديمي الشبيه والنظير * وسلم تسليما كثيرا * ما دام الشوق لمحبه مثيرا * واهتز اهتزاز الغصن النضير *

وبعد فيقول العبد الفقير * المضطر لرحمة ربه المولى القدير * مقفل الظهر بالاوزار * الراجي عفوه سبحانه احمد بن عمار * اكفه الله رضاه * وانحفه القرب من مرتضاه * لما دعتني الاشواق * النافقة الاسواق * الى مشاهدة الآثار * والاخذ من الراحة بالثار * وان اهجر الاهل والوطن * واضرب في عراض البيد بعطن * وان اخلع على السالين الساكنين الكرى * واعطي ظهر السهر والسرى * لبيت داعيها * واعطيت كريمة النفس ساعيها * علما مني ان ليس يظفر بمراد * من لم يتابع الاصدار للايراد * وليس يحظى بمامول * من لم يصاحب الحمول * وليس يجتني ثمر الوصل * من لم يتجرع كئوس الفصل * ولما انبرى هذا العزم وانبرم * والعظى لاعج الشوق واضرم * وباح الوجد بالسر المكتوم * وصاح حيي على الوصل الفضاء المحتوم * شرعت اذ ذاك في المقصود * واعددت طلسم ذلك الكنز المرصود * واخذت في اسباب

[1] – ابن عمار، المصدر السابق، ص6.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم

أ- المصادر

1.الأندلسي أبي عبد الله محمد بن محمد ، الحلل السندسية في الأخبار التونسية، ط4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985.

2.البلنسي محمد العبدوي: الرحلة المغربية، تقديم بوفلاقة سعد، منشورات بونة للبحوث والدراسات، بونة، الجزائر، 2007.

3.التلمساني ابن هطال: رحلة محمد الكبير باي المغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي، 1785م، دار السويد للنشر والتوزيع، 2004.

4.التلمساني أبو العباس أحمد المقري، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995،

5.الجزري شمس الدين أبي الخير محمد: التمهيد في علم التجويد، تح: غانم قدوري حامد، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2001م.

6.الجرنائي علي ، جنى زهرة الايس في بناء مدينة فاس، تح : عبد الوهاب بن منصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1991م

7.: جلبي أوليا ، الرحلة الحجازية، ط1، تر : الصفصافي أحمد المرسي، وأر الآفاق العربية، 1999م.

8.عبد الرزاق ابن حمادوش الجزائري، رحلة ابن حمادوش المسماة "لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال" تح : أبو قاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1983.

9.الحسيني محمد بن رسول البرزنجي: الإشاعة لأشراط الساعة، تح: حسين محمد علي شكير، ط3، دار المنهاج، بيروت، 2005.

10. ابن خلدون عبد الرحمان بن محمد: مقدمة ابن خلدون، ج1، تح: درويش جويدي، المكتبة العصرية، ط1، بيروت.

11. لسان الدين الخطيب: نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، ج3، تح: السعدية فاعية، د ط، د ت، ص

12. بن زكرياء أبي الحسن أحمد بن فارس: مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، ج2، دار الفكر، مصر، 1989.

13. السيوطي جلال الدين عبد الرحمان ، نعية الوعاة في طبقات اللغويين والنجاة، ج2، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي وشركاؤه، ط1، 1384م_1965.

14. بن عمار أبي العباس سيدي أحمد: نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيبي، تح: ابن أبي شنب، مطبعة فونتانة، الجزائر، 1903،

15. الغزالي أبو حامد: إحياء علوم الدين، دار الشعب، القاهرة، د ط، د ت، ج6.

16. كراتشوفسكي أغناطيوس يوليا نوفتش: تاريخ الأدب الجغرافي الغربي، تر: صلاح الدين عثمان هاشم، القسم الأول، جامعة الدول العربية، 1957.

17. ابن زكور الفاسي: نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائري وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الحراش، الجزائر، 2011م.

18. ابن منظور: لسان العرب، مج 4، ج24، بيروت، لبنان.

19. المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج1، تقديم محمد السويدي، موفم للنشر، د ط، الجزائر، 1989.

20. المكي أحمد شهاب الدين ابن حجر الهتيمي: الفتاوى الحديثة، دار المعرفة للطباعة والنشر، د ت.

21. محمد بن محمد مخلوف شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تح: علي عمر، ط1، ج1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2006.

22. محمد ابن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تقديم محمد ابن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972.

23. الحسن بن محمد الوزان: وصف افريقيا، تح: محمد حجي ومحمد الأخضر، ج1، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983.

24. ويلس ستيفن جيمس: الأسرى الأمريكان في الجزائر 1785- 1897، تر: علي تابليت، منشورات تالة، الجزائر، 2007.

25. الونشريسي أبي العباس أحمد بن يحي: المعيار المعرب والجامع المغرب، تح: زكرياء عميرات، ج1، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، د ت.

26. الورثلاني الحسين، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار (الرحلة الورثلانية)،مطبعة بيرفونتانا الشرقية، الجزائر،1907.

27. النووي محي الدين أبي زكرياء يحي بن شرف: صحيح مسلم بشرح النووي، تح: محمد سيد عبد رب الرسول، ج18، مكتبة أبو بكر الصديق، ط1، القاهرة، 2006.

28. الناصري أبو راس: عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تح: أ. محمد غانم، المركز الوطني للبحث في الأنثرولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران، الجزائر، 2005م.

29. النميري ابن الحاج: فيض العباب وإفاضة قداح الأدب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، تح: محمد بن شقرون، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990.

30. الناصري محمد أبو راس ، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، تح : محمد ابن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1990م.

31. ابن تيمية عن أبي عبد الله ابن بطة: الإجانة الصغرى، فتاوى الشيخ الإسلام تيمية، ج 27.

ب- المراجع

1. أحمد أمين: النقد العربي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعة، الرغاية، الجزائر، 1992.
2. بوزيان الدراجي: أدباء وشعراء من تلمسان، دار الأمل، 2011.
3. بسكر محمد: أعلام الفكر الجزائري من خلال آثارهم المخطوطة، ج1، دار كردادة، بوسعادة، الجزائر، 2013.
4. بطرس البستاني: دائرة المعارف، مج 8، مطبعة المعارف، د ط، بيروت، 1884.
5. التازي عبد الهادي: رحلة الرحلات مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة، ج1، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مكة المكرمة، 2005.
6. عبد الله التازي: ابن بطون أمير الرحالة، الدار الغربية للطباعة والنشر، الكويت، ط1، 2002.
7. حسين محمود حسين: أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس للطباعة والنشر، ط2، بيروت، لبنان، 1983.
8. حاجيات عبد الحميد: أبو حمو موسى الثاني حياته وآثاره.
9. الجيلالي عبد الرحمان ، تاريخ الجزائر العام ج3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م.
10. الزين سميح عاطف: الصوفية في نظر الإسلام، دار الكتاب اللبناني، ط3، بيروت، 1985.
11. سعد الله أبو القاسم: تجارب في الأدب والرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1973.
12. أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر (بداية الاحتلال)، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

13. سعد الله أبو القاسم: أشعار جزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988.
14. سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1،ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.
15. سعد الله أبو القاسم ، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1، دار البصائر، الجزائر، 2007م.
16. سعيدوني ناصر الدين ، الوقف في الجزائر أثناء العهد العثماني، طبعة خاصة، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.
17. سعيدوني ناصر الدين ، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي "تراب مؤرخين ورحالة جغرافيين" دار الغرب الإسلامي، بيروت 1999م.
18. أساعد سميرة ، الرحلات الحجازية في الأدب الجزائري من القرن الحادي عشر إلى الثالث عشر الهجريين ق 17_19، الوكالة الإفريقية للإنتاج السنمائي والثقافي، ط1، الجزائر، 2011م.
19. شوابكة نوال عبد الرحمان: آداب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية ق 9هـ، دار المؤمون، ط1، عمان، 2004.
20. شلتوت محمد: من توجيهات الإسلام، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، مصر، 1980.
21. الشاهدي حسن: أدب الرحلة في المغرب افي العصر المريني، ج1، منشورات عكاظ، الرباط، 1990.
22. عمراني فاطمة: المدائح النبوية في الشعر الأندلسي، ط1، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، 2011.
23. عبد القادر نورالدين: صفحات في تاريخ مدينة الجزائر، دار الحضارة، الجزائر، 2006.

24. العلوي إسماعيل مولاي عبد الحميد ، تاريخ وجدة وأنكاد في دوحة الأمجاد ج1، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1985م.

25. فهيم حسن محمد: أدب الرحلات، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1989.

26. قنديل فؤاد: أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الاسكندرية، ط2، القاهرة، مصر، 2002.

27. وجدي محمد فريد: دائرة المعارف القرن العشرين، دار الفكر، بيروت، د ط، د ت، مج4.

28. نواب عواطف محمد يوسف ، الرحلات المغربية والأندلسية، مكتبة الملك فهد د،ط، الرياض، 1996.

29. نواب عواطف بنت محمد يوسف: كتب الرحالة في المغرب الأقصى مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين الحادي عشر والثانية عشر الهجريين، دار الملك عبد العزيز، 1429هـ/2007م.

ج- الرسائل الجامعية

1. بوسعيد أحمد ، ركب الحج الجزائري في العهد العثماني (1518م_1830م)، أطروحة مقدمة لنيل دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية جامعة أحمد دراية ، أدرار، 2017م_2018م.

2. تالي جمال ، محاضرات في مقياس تاريخ التربية والتعليم في الجزائر، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في علم اجتماع التربية، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد الصديق بن يحي، جيجل، 2015م_2016م.

3. حسين إلهام دحروج، مدينة قابس منذ الغزو الهلاليين في قيام الدولة الحفصية، مذكرة للحصول على درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 2000م.

4. حليسي علي، التنظيم الإداري للبلديات المختلطة في الأوراس 1870م/1919م بلدية باتنة بلدية بريكة نموذجا، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الحاج لخضر، باتنة.

5. شقرون عبد الجليل: نحلة اللبيب بأخبار رحلة إلى الحبيب دراسة وتحقيق، رسالة دكتوراه، شعبة الثقافة الشعبية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2016- 2017.

6. عطا الله راضية ، الأثر الاجتماعي لزيارة الأضرحة بتلمسان ضريح سيدي أبي مدين الغوث نموذجا، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ الإسلامي في العصر الوسيط، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، ، جامعة محمد بوضيلف، المسيلة، 2019/2018.

7. غويني ليلى ، التفاعل الثقافي بين دول المغرب في العهد العثماني من خلال الرحلات الحجازية الجزائرية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر 2، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، 2010م_2011م.

8. محمد أكلي كزار جمال رحام، التحولات الكبرى في القرى الجبلية القبائلية : حالة قرى ومداشر منطقة، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في العمران، قسم الهندسة المعمارية والعمران، كلية علوم الأرض والجغرافيا والتهيئة العمرانية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007م/2008م.

د- المجلات:

1. إبراهيم علاء الدين، أوضاع ليبيا ما بين الاحتلال الإسباني والنجدة العثمانية 1550_1551،ع127_128، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة تشرين، 2014م.
2. آل شيخ سيد سعاد ، رحلة عبد الرحمان بن محمد بن الخروب المجاجي نموذج الرحلة الحجية النظمية خلال القرن 11هـ/17م، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع20، جامعة غرداية، 2014م.
3. بردي صليحة ، الممارسة التعليمية في الجزائر أثناء العهد العثماني دراسة في الواقع والمعطيات، مجلة الذاكرة، ع11، كلية الآداب واللغات، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة (عين الدفلى)، 2018م.
4. زوهري وليد ، أدب الرحالة الجزائريين إلى مكة والمدينة، دراسة وصفية تحليلية، مجلة الدراسات اللغوية، العدد الأول، يونيو 2012.
5. صادوق الحاج: أسباب الرحلات المغاربية إلى الحجاز إبان ق 12هـ- 18 هـ، أبو القاسم سعد الله، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، العدد 10، د ت، جامعة الجزائر 2.
6. معتوق جميلة: المولديات في المديح النبوي الجزائري القديم وسماتها الفنية، مجلة الرفوف، مجلد السادس، عدد الأول، جامعة أدرار، سبتمبر 2018.
7. محمد سيد أشرف صالح ، المراكز الثقافية في دار السلطان (الجزائر) أواخر العصر التركي، مجلة أمارياك، مج4، ع7، 2013م.
8. المشهداني مؤيد محمود حمد ، م.م سلوان رشيد رمضان، أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني 1518م_1830م، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، مج5، ع16، جامعة تكرت، 2013م.
9. خالد الهدار، القصر الفاطمي في إجدابية، مجلة الثقافة العربية، ع2.

هـ-الملتقيات

1.الأبياري سفيان صورة المشرق العربي من خلال رحلات الجزائريين في العهد العثماني (سميرة أساعد) ملتقى أهل الحديث، منتدى السيرة والتاريخ والأنساب، 12/2013م10، الجزائر .

2.متلق آسيا ، مسيرة حياة الشيخ، مسيرة الشيخ العلامة الحاج علي بن عشيط المجاجي، الملتقى الوطني الثاني حول أعلام حوض الشلف، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة حسيبة بن بوعلي.

و- المعاجم والقواميس:

1.الحموي ياقوت ، معجم البلدان، ج4، المطبعة المصرية، القاهرة، 1906م.

2.زركلي خير الدين ، الأعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج3،ط5،دار العلم للملايين، بيروت ،1980.

3.الفيروز الأبادي محمد الدين محمد يعقوب: القاموس المحيط، تج: أنس محمد الشامي، دار الحديث، القاهرة، 2007.

4.نويهض عادل: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، 1980.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات:

مقدمة.....أ

الفصل التمهيدي
ماهية الرحلة وأهميتها

المبحث الأول: مفهوم الرحلة 06

المبحث الثاني: أنواع الرحلة.....09

المبحث الثالث: دوافع الرحلة 12

المبحث الرابع: أهمية الرحلة.....14

الفصل الأول
الرحلات الحجازية الجزائرية في العهد العثماني

المبحث الأول : الوضع الثقافي للجزائر في العهد العثماني 17

المبحث الثاني : الرحلات الحجازية الجزائرية في العهد العثماني 26

المبحث الثالث : أهم الرحلات الحجازية الجزائرية في العهد العثماني.....37

الفصل الثاني
رحلة ابن عمار أنموذجا " رحلة اللبيب بأخبار رحلة إلى الحبيب"

المبحث الأول: سيرة ابن عمار 53

المبحث الثالث: الأهمية العلمية لرحلة ابن عمار 80

المبحث الثاني: دراسة لرحلة نحلة اللبيب في أخبار رحلة إلى الحبيب.....60

خاتمة 82

قائمة الملاحق 85

قائمة المصادر والمراجع 91

فهرس المحتويات 101

الملخص:

أسهم الجزائريون مساهمة واضحة في كتابة الرحلات ولا سيما خلال القرن الثـــاني عشـــر(18م)، وكانت هذه الرحلات إما بهدف الحج مثل رحلة الورتيلاني، او بهدف طلب العلم كرحلة أبـــوراس الناصري أو بهدف التجارة كرحلة عبد الرزاق ابن حمادوش، وتنظم هذه الرحلات على شكل قافلة يترأسها قائد يعرف بأمير الركب، وتولى هذا المنصب عدة عائلات من بينها آل الفكون، وقد واجه الرحالة صعوبات أثناء السفر من بينها العوامل الطبيعية الرياح والأمطار أو بشـــرية كالقرصـــنة وسرقة المتاع، وبذلك أصبحت هذه الرحلات مصدر مهم في تاريخ الجزائر الحديث.

أبو عبد الله بن عمر الجزائري أبو العباس ابن عمار من اعلام الزمان في العلوم النقلية والعقليـــة والتاريخ والحديث، صاحب رحلة نحلة اللبيب في أخبار رحلة إلى الحبيب قادتـــه مـــن الجزائـــر المحروسة إلى البقاع المقدسة سنة 1166هـــ، وهي تعد من اهم الرحلات في العهد العثماني وذلك لأنها تعد وثيقة تاريخية هامة في دراسة الحركة الأدبية والفكرية والثقافية والدينية إبان عصره حيث أورد فيها أشعارا عديدة تصف شوقه إلى البقاع المقدسة، كما ذكر بعض عـــادات أهـــل الجزائـــر وتقاليدهم إذ أسهم وبقسط كبير في نقل الكثير من الصور الجميلة والحقائق الوافية حـــول الحركـــة الثقافية والأدبية خلال العهد العثماني ويعد ابن عمار من أبرز المؤلفين الذين كتبوا في فن المولديات ومظاهر الاحتفال بالمولد النبوي الشريف خلال العهد الزياني.

Résumé:

Les Algériens ont clairement contribué aux voyages d'écriture, en particulier au XIIe siècle (18 de notre ère). Ces voyages étaient soit à des fins de pèlerinage, comme le voyage d'Al-Wortilani, soit dans le but de rechercher des connaissances, comme le voyage d'Abou Ras al-Nasiri, ou à des fins commerciales, comme le voyage d'Abd al-Razzaq ibn Hammadoush sont organisés en caravane et Un chef connu sous le nom de prince de Rukb, et plusieurs familles ont assumé ce poste, y compris la famille d'Al-Fakoun, et les voyageurs ont rencontré des difficultés lors du voyage, notamment des facteurs naturels vents et pluies ou humains tels que la piraterie et le vol de bagages, et ainsi ces voyages sont devenus une source importante dans l'histoire moderne de l'Algérie.

Abu Abdullah bin Omar al-Jazaery Abu al-Abbas ibn Ammar, l'un des drapeaux de l'époque dans les transports et les sciences mentales, l'histoire et les hadiths. Un document historique important dans l'étude du mouvement littéraire, intellectuel, culturel et religieux à son époque, car il a inclus de nombreux poèmes décrivant son désir des lieux saints, et il a mentionné certaines des coutumes et traditions du peuple algérien, car il a beaucoup contribué à la transmission de nombreuses belles images et des faits adéquats sur le mouvement culturel et littéraire à l'époque ottomane. Ibn Ammar est l'un des auteurs les plus éminents qui ont écrit sur l'art de Muladiyat et les aspects de la célébration de l'anniversaire du Prophète pendant l'ère Zayani.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: .....التاريخ.....

المرجع: القرار الوزاري رقم: 933 المؤرخ في: 28 جويلية 2016 المحدد للقواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها

تصريح شرفي

خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز البحث

أنا الممضي أدناه،

السيد(ة): شنوح وريدة

الصفة: طالب، أستاذ باحث، باحث دائم: طالب

الحامل (ة) لبطاقة التعريف الوطنية رقم: 216845

والصادرة بتاريخ: 2011-03-07

عن دائرة: بن بوعريريج

المسجل (ة) بكلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم: التاريخ

والمكلف (ة) بإنجاز أعمال بحث(مذكرة التخرج، مذكرة ماستر، مذكرة ماجستير، أطروحة دكتوراه)، عنوانها:
الرحلات الجزائرية في العهد العثماني 1830-1518
رحلة ابن عمار أنموذجا

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه.

التاريخ: 28-09-2020

28 سبتمبر 2020
بتفويض من رئيس المجلس الشعبي البلدي
حكيمة غرابي

إمضاء المعني

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: ....التاريخ.....

المرجع: القرار الوزاري رقم: 933 المؤرخ في: 28 جويلية 2016 المحدد للقواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها

تصريح شرفي

خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز البحث

أنا الممضي أدناه،

السيد(ة): رزيق أحلام

الصفة: طالب، أستاذ باحث، باحث دائم: طالب

الحامل (ة) لبطاقة التعريف الوطنية رقم: 296862

والصادرة بتاريخ: 2011-03-20

عن دائرة: مقرة

المسجل (ة) بكلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم: التاريخ

والمكلف (ة) بإنجاز أعمال بحث(مذكرة التخرج، مذكرة ماستر، مذكرة ماجستير، أطروحة دكتوراه)، عنوانها: الرحلات الحجازية الجزائرية في العهد العثماني 1518-1830 رحلة ابن عمار أنموذجا.

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه.

التاريخ: 28-09-2020

إمضاء المعني

28 سبتمبر 2020

عن رئيس المجلس الشعبي البلدي
و بتفويض منه الموظف المكلف
حكيمة غرابي

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

الرقم: / ق..../ك.ع.إ.إ.ج/2020

المسيلة في :

وثيقة إيداع مذكرة ماستر

الموضوع: الرحلة الجزائرية حمدان بن العنابي .....
.....

الشعبة: تاريخ ..... **التخصص:** تاريخ حديث .....

إعداد :

1- ..... رقم التسجيل: 35095564 ..... الفوج: 05 .....

2- ..... رقم التسجيل: 33075993 ..... الفوج: 05 .....

إشراف: عبد الله حلاوي ..... **الرتبة:** أستاذ .....

أقر بأنني تابعت العمل المذكور أعلاه في جلسات إشرافية طيلة الموسم الجامعي: 2020/2019 وأسمح بإيداعه لإدارة القسم.

موافقة وإمضاء المشرف(ة):